سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي للجمعية -٤



جمعية التاريخ والآثار
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور

مداولات
اللقاء العلمي السنوي الرابع للجمعية
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة (٣-٥ صفر ١٤٢٣هـ / ١٦ - ١٨ إبريل ٢٠٠٢)

صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية - جامعة الملك خالد - أبها

أولاً - المقدمة :

إذا ما تفحصنا الدراسات العلمية الأكاديمية التي نُشرت عن تاريخ شبه الجزيرة العربية وفكرها وحضارتها منذ العهود القديمة إلى عصرنا الحاضر ، لوجدنا تفاوتًا كبيرًا من حيث الزمان والمكان ، وهذا التفاوت نستطيع أن نجمل أسبابه فيما يأتي :

١ - أن الدراسات التي أجريت عن شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة تكاد تكون أكثر وأوسع انتشارًا عن تاريخ بلاد اليمن والحضارات التي خرجت فيها ، وكذلك عن الأطراف الشمالية من الجزيرة وبخاصة ما يتعلق بتاريخ الغساسنة والمناذرة وحضارتهما ، وغيرهما من المجتمعات التي عاشت في مدائن صالح وما حولها . أما الأجزاء الوسطى الواقعة بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها فقد طواها الإهمال والنسيان ، اللهم إلا أرض الحرمين الشريفين وخاصة مكة المكرمة التي عني بذكرها أصحاب المدونات القديمة لكونها بلدًا حرامًا(١) .

٢ـ استمرار هذا النسيان أيضًا إبان العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وخاصة من بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة إلى القرن (١١هـ) وربما (١٢) الهجري ، فقد أغفل المؤرخون ومدونو التراث الإسلامي الحديث عن معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية فيما عدا بعض الحواضر الإسلامية الكبرى ، مثل مدن اليمن ومراكزها السياسية والحضارية كصنعاء ، وصعدة ، وزبيد ، وعدن ، أو حواضر الحجاز ذات الأهمية الدينية والصبغة التجارية مثل مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، واليمامة في وسط شبه الجزيرة ، وكذلك أرض البحرين الواقعة في شرقها ، وعلى الرغم من التفات بعض المؤرخين والشعراء والأدباء في العصور الوسطى إلى هذه الأجزاء فيما دونوه أو نظموه ، إلا أن حديثهم وأشعارهم عن تلك الحواضر لا يقارن بما ذكروه عن الحواضر الإسلامية الكبرى الواقعة في بلاد الشام والعراق وفارس ، وكذلك في مصر وشمال أفريقيا والأندلس [٢] . وعندما نأتي إلى أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية وهي الأجزاء المعنية في هذا البحث مثل البلاد الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى التي أطلقنا على المرتفعات منها **أرض السراة** أو **بلاد السراة** ، أو **السراة** . كما أطلقنا على المنخفضات من هذه البلاد اسم **تهامة** ، وبخاصة المنطقة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر غربًا ، وجبال السروات شرقًا ، والممتدة من الحجاز شمالاً إلى حواضر اليمن الكبرى جنوبًا التي تزيد مسافتها على ألف كيلو متر ، هذه المنطقة المتنوعة في تضاريسها ومناخها وثرواتها الحيوانية والنباتية ، والمزدحمة بطاقاتها البشرية مع تنوع معايشهم وطبقاتهم الاجتماعية نجد أنها كانت من المناطق التي سادها

النسيان في مصادر التراث الإسلامي ، فلا نجد عنها في مختلف المصادر المبكرة إلا شذرات متفرقة لا تكفي لتكوين دراسة علمية متكاملة عن هذه البلاد في شتى جوانبها [٣] .

وعلى الرغم من إخراجنا للعديد من الأبحاث والدراسات المختلفة عن تلك البلاد المعنية بالدراسة ، إلا أننا مع هذا ما زلنا نعترف بالنقص والقصور فيما كُتب عنها ، وإنني من موقعي هذا أناشد المتخصصين في حقل الدراسات التاريخية القديمة وعلم الآثار ، وأقول : إن هذه البلاد الواقعة بين اليمن والحجاز التي أسميناها "**تهامة والسراة**" ما زالت أرضًا بكرًا إن صح التعبير ، وفي حاجة ماسة إلى كثير من الدراسات الأثرية المتخصصة التي تقوم دعائمها على الحفائر والتنقيب الأثري ، والتي سوف تميط اللثام بالتأكيد عن الكثير من نواحي الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه المنطقة سواء في العصور القديمة أم الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وهو ما يعنينا في المقام الأول في ضوء صمت المصادر الإسلامية غالبًا في الحديث عنها[٤] ، وخصوصًا بما تحويه من نقوش وزخارف ورسوم وآثار متنوعة لا تزال مندرسة في معظم أجزائها ، وبالأخص في مراكزها الحضارية الكبرى التي وجدنا شذرات مبعثرة عنها عبر العهود القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة مثل نجران ، وجرش (عسير) ، وبيشة ، وتربة ، ورنية ، والطائف ، وجميع هذه المواقع توجد في الأجزاء الجبلية السروية ، أما النواحي التهامية فهناك نواحٍ وأماكن كثيرة تحتاج هي أيضًا إلى كثير من الدراسات ، نذكر منها على سبيل المثال مخلاف حَكَم (جازان) ، وحلي ، والأحسية ، وعشم ، والسرين ، وبارق وغيرها [٥] .

وهذه المناشدة لم تأت إلا بعد أن جبت أنحاء هذه البلاد ـ بصفتي أحد أبنائها ـ طولاً وعرضًا خلال السنوات الثلاثين الماضية ، وكتبت ثم نشرت عددًا من الدراسات العلمية التي تناولت تاريخ هذه البلاد وحضارتهما ، ولكن معظم ما أصدرته من أبحاث ودراسات تكاد تكون متأخرة زمنيا وانصب أغلبها على **تاريخ وحضارة تهامة والسراة** خلال القرون الثلاثة أو الأربعة المتأخرة الماضية ، ولم أكن الوحيد الذي عُنِيَ بالكتابة عن هذه الفترة ، وإنما ساهم معي آخرون ، كلٌّ قدر استطاعته . واهتمامي وغيري من الباحثين بالقرون الهجرية المتأخرة يعود إلى سبب أساسي ، هو توافر المادة العلمية الخاصة بتلك الفترة بدرجة طيبة إذا ما قورنت بالفترات الإسلامية المبكرة ، ومن ثم خرج العديد من الإسهامات العلمية التاريخية والحضارية التي تناولت هذه البلاد في تلك الفترة [٦] .

أما ما قبل القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) ، فالأمر يزداد صعوبة لندرة المادة العلمية عن هذه البلاد المعنية بالدراسة ، وأعتقد ـ كما سبق القول ـ أن إجراء الدراسات الأثرية الجادة عن تلك البلاد قد تفتح آفاقًا جديدة للباحثين ، وبخاصة إذا وُجد أصحاب الاختصاص ومن لهم اليد الطولى في الآثار ودراستها ، وهم ـ والحمد لله ـ كَثُر في بلادنا ، ولقيام مثل تلك الأبحاث والدراسات الأثرية الأصيلة لا بد من توافر عاملَين مهمين هما التشجيع المعنوي ، والدعم المادي من جانب الجهات الحكومية المعنية بهذه الأمور ، وهذا ليس غريبًا على ولاة أمرنا فهم أصحاب الأيادي البيضاء في كل جانب ومضمار يخدم الوطن والمواطن ويعود بالنفع على الإسلام والمسلمين [٧] .

وهذا البحث الذي بين أيدينا اقتصرنا في دراسته على إلقاء الضوء

على بعض جوانب من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوبًا حتى الطائف شمالاً ، ويظهر ذلك من عنوانه الموسوم بـ " **صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** " ، ولا ندعي الكمال فيما دُوِّن في صفحات هذه الدراسة ، ولكننا نزعم أنها دراسة جديدة في تناولها وطريقة طرحها ، أرجو أن تضيف جديدًا للمكتبة التاريخية العربية وتسد نقصًا في جانب من جوانب الحضارية لهذه البلاد . وما سوف نتطرق إليه في هذه الدراسة يشمل الحديث عن طبقات المجتمع السروي الذي تشكل من العناصر العربية الأصيلة ، والعناصر غير العربية التي وفدت إليه وانتجعت أنحاء متفرقة من هذه البلاد للعمل في شتى الحرف والفنون الصناعية المعروفة في ذلك الوقت ، كما تطرقنا للحديث عن نظام الأسرة في المجتمع السروي ، وألقينا الضوء على بعض العادات والتقاليد في البيت السروي . كما تناولت بالدراسة بعض مظاهر العمران وركزت الحديث عن العمران المدني والحربي وبعض الأبنية ذات الصبغة الدينية ومنها المقابر وغيرها . واختتمنا الدراسة بالحديث عن الأطعمة والأشربة التي اعتادها أفراد المجتمع السروي في فترة البحث ، وأوضحت كيف اعتمد أبناء المجتمع السروي في معيشتهم على بيئتهم المحلية ومنتجاتها في حياتهم اليومية .

وهذه العناصر في اعتقادي تمثل بعض المظاهر الحضارية في هذه البلاد التي تعكس لنا الواقع الاجتماعي لأهل السراة في العصر الإسلامي ، من خلال رصد بعض مظاهر الحياة اليومية وكيف كانوا يمارسونها ويتعايشون من خلالها .

ثانيًا - طبقات المجتمع السروي :

كان هذا المجتمع يتكون في أغلبه الأعم من طبقتين متباينتين : الأولى هي العناصر العربية الأصيلة من سكان هذه المناطق . والثانية هي العناصر الوافدة على البلاد من خارجها ، وسوف نحاول إلقاء الضوء على بعض مميزات كل طبقة ودورها الذي قامت به في المجتمع السروي .

أ - العناصر العربية :

يغلب الطابع القبلي على مجتمع بلاد السراة ، وقد لمسنا ذلك من خلال ما ورد في المصادر عن أحداث عام الوفود (٨) ، حيث وفدت القبائل على رسول الله ﷺ في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة ، فكان الوفد يأتي إلى المدينة ويقابل أعضاؤه الرسول ﷺ ، وأول ما يسألهم النبي الكريم : مِمَّن القوم ؟ ففي الغالب يرد الوفد قائلين : نحن من كذا وكذا ... ، ويذكر المتحدث اسم قبيلتهم أو عشيرتهم (٩) . وجميع وفود قبائل السراة كانت في الغالب أزدية قحطانية ، وإن كانت لا تخلو أحيانًا من بعض القبائل والعشائر المُضَرية العدنانية (١٠) . ويظهر مما سبق أن طبيعة قبائل السراة في العصور المبكرة والوسيطة كانت مستقلة بعضها عن بعض ، بل ربما كانت لا تدين بالولاء الفعلي لسلطة الخلافة الإسلامية ، يوم كانت في الشام للأمويين (٤٠-١٣٢هـ) ، أو في العراق للعباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ) . ولقد أكد هذا القول الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري ، القرن الحادي عشر الميلادي وابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي عندما أشارا إلى كثرة مواطن السرويين ببلاد السراة (١١) . ثم استطرد الرحالة ناصر خسرو فذكر أن على كل موطن من تلك المواطن "حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزية " (١٢) ، ويؤكد كل من خسرو

وابن المجاور على تعدد عشائر القبائل العربية وبطونها في أرض السراة [١٣].

ويضيف ابن المجاور بعض التفصيلات عن مشيخات قبائل السراة الممتدة من صنعاء وصعدة جنوبًا إلى الطائف شمالاً ، ويمدنا بلمحة عن الأوضاع الإدارية والسياسية المحلية لتلك القبائل فيقول : " **يحكم على كل قرية شيخ من مشايخها ، كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجًا ، ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، بهذا لا يزال القتال دأبهم ، ويتقلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن .. وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب** " [١٤]. ويذكر أيضًا " **أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشايخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون**" [١٥] .

وتنقسم بلاد السراة إلى بوادٍ وحواضر ، وهذه القسمة تحدث في العشيرة أو القبيلة الواحدة ، فأهل البادية ينتقلون من مكان لآخر بحثًا عن الماء والمرعى لمواشيهم ، أما أهل الحواضر فيستقرون في قُراهم أو مدنهم وأحيانًا تكون هناك علاقات دم بين أهل البادية وأهل الحضر ، ومن ثم تكون مشيختهم ورابطتهم واحدة ، إلا أنهم مع ذلك ما زالوا مستقلين عن غيرهم من القبائل والمشيخات المحلية [١٦] . ويورد لنا الحسن بن أحمد الهمداني معلومات عن بعض المشيخات العربية المحلية ببلاد السراة ، فيذكر مدينة جرش وحكامها خلال القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي [١٧] ، فيقول : "**جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير** " [١٨] . ويتحدث عن بعض مدن سراة

الحجـر وقراها كـمدينة الجـهوة وغيـرها[١٩] ، فيـقـول : " **الجهوة مـدينة السـراة أكبـر من جرش وصـاحبـهـا الجـابر بن الضحـاك الـربيعي بن نصـر بن ربيعة بن الحجر** " [٢٠] و " **زنامة العرق وهي لجابر بن الضحاك قرية فيها زروع ، ثم بعدها أيد " صدريد "** [٢١] ، **واد فيـه نبذ مـن قرى وزروع** [٢٢] ...". ثم يذكر قرى وأريافًا وبوادي عديدة في السروات ، ويذكر أهلها وأحيانًا يذكر أسماء شيوخها ورؤساء العشائر فيها [٢٣] .

ويتمتع شيوخ القبائل السروية منذ العهد الجاهلي حتى القرن الثالث عشـر الهجـري ، التـاسـع عشـر الميـلادي بسلطة كبـيـرة في قبـائلهم ، فـهـم أصحاب الحل والعقد في جميع أمور قبائلهم [٢٤] . وتؤيدنا في ذلك بعض المصادر المحلية المتأخرة ، فيذكر شعيب بن عبد الحميد الدوسري في سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥١م عـددًا من مـشـايخ أهـل السـراة أثناء حديثـه عـن الأمـيـر مـرعي بن محـمـد [٢٥] ، فيقـول : "**وقد اصطحب معه من وجهاء قحطان ، ويام وعسير ...** " [٢٦] ، كما يذكر كل من أحمد بن حسن النعمي في كتـابه (**عسير في مذكرات سليمان الكمالي**) ، ومحمود شاكر في كتاب (**عسير**) عددًا من أسماء بلاد السراة ومشايخها خلال القرن الثاني عشر الهجري ، العشرين الميلادي[٢٧] .

وليس كل مـا ذكـرته المصادر المتقدمة زمنيًا أو المتأخرة عن القبـائل وأسمـاء مشـايخهـا في بـلاد السـراة يُعد إلمـامًا كـامـلاً بكل المشيخات التـي ظهـرت في بـلاد السـراة خـلال العـصـور الإسـلامـيـة الوسـيطة وأوائـل العـصـر الحـديث ، وإنمـا هـي نماذج توضّـح أن الطـابـع القـبـلي وعلى رأسـه شـيخ القبيلـة هـو الأسـاس في التـركيبـة الاجتمـاعيـة لبـلاد السـراة طـوال عصـور طـويلـة مرت وحتـى فتـرة قـريبـة مـن واقعنـا المعاصر [٢٨] .

ب - العناصر غير العربية :

لم يخل مجتمع بلاد السراة من عناصر غير عربية قامت على خدمة العناصر العربية ، لاسيما في مجال الحرف اليدوية والفنون الصناعية التي لا يمتهنها العرب ولا يقبلون عليها ، فوجد إلى جانب العناصر العربية بعض الموالي الذين امتهنوا بعض الحرف اليدوية وغيرها من الفنون الصناعية ، ويؤكد ذلك العديد من الإشارات الواردة في المصادر الأولية وتنوه عن وجود عناصر غير عربية من الفرس والأفارقة في الكثير من المواقع ببلاد السراة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، السابع والثامن للميلاد(٢٩) ، كذلك يذكر الهمداني وهو من رجال ق ٤ هـ/ ق١٠م أثناء حديثه عن جرش فيقول : "**وفي شق قرية جرش فرقة من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش**" (٣٠) . ويتحدث أيضًا عن المعادن في جزيرة العرب فيذكر غزارة الإنتاج في معدن الرضراض القريب من مدينة نجران(٣١) ، ثم يؤكد أن أغلب العمال فيه من الفرس (٣٢) . ولا يستبعد وجود الكثير من العناصر غير العربية من الذين كانوا يعملون في مهن وحرف متعددة في بلاد السراة، وذلك لوفرة المهن والصناعات اليدوية الموجودة بالبلاد منذ عهود قديمة حتى الآن (٣٣) .

وربما كان بعض من تلك العناصر في بلاد السراة قد أصبحوا من أصحاب الوجاهة والمكانة الاجتماعية الرفيعة بفضل ما أصابوه من ثراء من وراء احتكار العمل في بعض هذه المهن لاسيما التجارة ، ويؤيدنا في ذلك عدة إشارات وردت صريحة في بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، فقدامة يتحدث عن قرية تربة (٣٤) ، فيقول : " **تربة قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي**" (٣٥) . كما نجد مصادر أخرى عديدة ، وخاصة مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، وكذلك

بعض كتب التاريخ الحولي والسير تشير إلى بعض الموالي (الفرس) ، وكذلك الزنوج الأفارقة وأحيانًا الأتراك كانوا يعملون في الزراعة، والتجارة ، ومزاولة بعض الصناعات اليدوية في كل من نجران[٣٦] ، وبيشة[٣٧] ، وتبالة[٣٨] ، ورنية[٣٩] ، والطائف ، وجميع هذه المناطق تأتي على الطريق التجاري الشرقي الذي يربط بلاد اليمن بالحجاز [٤٠] . ولا يستبعد أن تكون تلك العناصر وغيرها قد وجدت أيضًا في أجزاء داخلية من بلاد السراة ، وخاصة المرتفعات منها التي يوجد فيها الآن أهم المراكز الحضارية وأنشطها مثل : ظهران الجنوب من الناحية الشمالية لمدينة نجران[٤١] ، يليه نحو الشمال سراة عبيدة ، وأحد رفيدة ، وتثليث ، وطريب في بلاد قحطان [٤٢] ، ثم خميس مشيط ، ثم أبها حاضرة عسير [٤٣] ، ثم بلدة صبح في بلاد بللحمر ، ثم اثنين بللسمر ، ثم تنومة ، فالنماص وبلاد بني عمرو[٤٤] ، ثم سبت العلاية ، وباشوث ، والبشائر ، وبلاد خثعم ، وبلجرشي ، والباحة ، وبلاد بجيلة بني مالك وغيرها من المراكز الواقعة على الطريق الرئيس الواصل من نجران جنوبًا حتى الطائف شمالاً [٤٥] .

علاوة على أن موقع بلاد السراة بين اليمن والحجاز يمثل عامل جذب للعديد من العناصر غير العربية للإقامة بين جنباتها ، لأنها تُعد ممرًا مهمًا للتجارة والتجار الذين يرتادون اليمن قادمين من الحجاز ، وأحياناً كان يأتي إليها التجار من اليمامة والبحرين ، وربما كان بعض أولئك التجار قادمين من بلاد فارس والعراق والشام وغيرها ، وقد أكد ذلك ابن المجاور عندما أشار إلى أن تجار البصرة كانوا هم الوسطاء في نقل بعض المصنوعات الجلدية من نجران وجرش إلى نواحٍ عديدة خارج شبه الجزيرة العربية[٤٦] . كما كانت كثير من الجيوش العسكرية تعبر بلاد السراة من الحجاز إلى اليمن أو العكس ، ومن يستقرئ التاريخ

السياسي لكل من اليمن والحجاز يتأكد من كثرة العناصر غير العربية بهما [٤٧] ، وخصوصًا الفرس والأتراك ، ومثل هؤلاء ربما عبروا بلاد السراة ، وربما استقر بعضهم بها وانضم إلى بعض القبائل العربية الرئيسة في بلاد السراة [٤٨] .

كذلك كان العبيد من العناصر غير العربية الذين جلبوا إلى بلاد السراة إما عن طريق الشراء من أجل الخدمة في بعض المهن الاقتصادية المحلية الخاصة ، أو العمل في بيوتات الطبقة الراقية من أهل السراة[٤٩] .

ومن يتجول في طول بلاد السراة وعرضها اليوم يلحظ بعض العناصر البشرية التي يظهر من أشكال بشرتها ، وهيئة شعورهم وتقسيمات وجوههم أنهم يعودون إلى سلالات أفريقية أو تركية أو غيرهما ، وعندما نسأل عن أصولهم نجدهم قد قدموا إلى بلاد السراة منذ مئات السنين ، ومثل هؤلاء لا يستبعد أنهم قدموا إليها عبيدًا ثم أعتقوا وانتموا للعشائر التي عاشوا وتربوا بين أهلها [٥٠] . كما نجد عدة مصادر تشير إلى أن بعض خلفاء بني أمية والخلفاء الأول من بني العباس وبعض مواليهم كانوا يمتلكون عقارات وملكيات زراعية في الطائف ، وبعض المدن الرئيسة في بلاد السراة مثل : الطائف ، وتربة ، ورنية ، وبيشة ، وجرش ، ونجران ، وصعدة ، وصنعاء [٥١] ، ومن ثم كانوا يرسلون من عبيدهم من يتولى صيانتها والقيام عليها ، كما أشارت مصادر أخرى إلى أن عددًا من أشراف مكة خلال العصور الوسطى كانوا يملكون عقارات وأراضيَ زراعية في بيشة ، ورنية ، وتبالة ، والباحة ، والنماص ، وأبها ، وسراة عبيدة ، ونجران ، ومدن وقرى أخرى في أرض السراة [٥٢] . وكانوا لا يأتون إليها إلا في أوقات متفاوتة في حين أن خدمهم وعبيدهم كانوا هم القائمين عليها طوال العام [٥٣] .

ثالثاً - الأسرة في المجتمع السروي :

سبق القول بأن الطابع القبلي كان غالبًا على المجتمع السروي ، وكانت جميع القبائل والعشائر والأفخاذ تتكون من قرى وبوادٍ ومنازل مختلفة ، والقاسم المشترك في هذا كله أنهم جميعًا يتكونون في الأساس من أفراد وأسر تتفاوت في الكبر والصغر ، ولكن الغالب على نظام الأسرة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة وكذلك أوائل العصر الحديث أن جميع أفرادها يعيشون في منزل واحد ، يبدأ بالجَدِّ إن كان على قيد الحياة ، وينتهي بالأبناء والبنات والزوجات والأحفاد ، وتقوم حياتهم على أساس من الترابط والتعاون في ممارسة أعمالهم وكسب معيشتهم من خلال المهن التي يمارسونها سواء كانت رعيًا أم صيدًا أم زراعة أم حرفًا مهنية يدوية أم تجارة وغيرها (٥٤) .

وكما كان لكل قبيلة أو عشيرة من بلاد السراة شيخ أو مشيخة فإن لكل أسرة أيضًا شيخًا أو رئيسًا ، أو ما يسمى (كبير الأسرة) أو (عميدها) ، ومن ثم يكون مسؤولاً عمّا يحدث أو يراد عمله في الأسرة ، فلا يستطيع أي فرد من أفراد الأسرة عمل أي شيء إلا بعد مشاورة كبير الأسرة فيما يراد القيام بعمله ، وكان لكبير الأسرة هيبة واحترام بين أفراد أسرته ربما تضاهي الهيبة والتقدير الذي يحظى به شيوخ القبائل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم (٥٥) .

رابعًا - أفراح أهل السراة وأتراحهم :

إذا ما حاولنا العثور على تفصيلات دقيقة عن حفلات أهل السراة ومناسباتهم ، وكذلك مآتمهم وأتراحهم وأحزانهم ، فإننا نجد صعوبة بالغة

فيما يتعلق بالقرون الإسلامية الأولى والوسيطة ، وذلك لأن معظم المصادر التي نوهت عن بلاد السراة في أي جانب من جوانب الحياة تكاد تكون صامتة في هذا المجال ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك أعراف وتقاليد وقيم وفنون شعبية وحفلات ومناسبات مختلفة ، وإنما نؤكد على وجود مثل هذه النشاطات بين أهل السراة منذ العصور الجاهلية وحتى يومنا هذا ، ودليلنا على ذلك يعود إلى عدة أسباب رئيسة هي :

أ - أن استقراء ما كتب وحفظته لنا المصادر الأولية عن بعض الجوانب الاجتماعية في كل من : صنعاء ، وصعدة باليمن ، والمخلاف السليماني ، وحلي بن يعقوب ، وعشم ، والسرين ببلاد تهامة ، وكذلك الطائف ، ومكة المكرمة ، وجدة ، والمدينة المنورة في الحجاز ، وكذلك اليمامة في نجد ، يجد أنها أشارت إلى توافر عادات وتقاليد عديدة مثل : مراسم الخطوبة والزواج ، وعادات الجنائز والمآتم ، وكذلك صفات أخرى عديدة ، كالكرم ، والشجاعة ، والتعاون ، والتكافل ، والصلح ، وأحلاف الجوار وغيرها من العادات والتقاليد المتنوعة التي ذكرها جواد علي مفصلة في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)[٥٦] ، كما ناقشناها أيضًا خلال القرون المتأخرة الماضية في أجزاء عديدة من بلاد السراة ، ونشرناها ضمن كتابنا (عسير ، دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٠-١٩٨٠م) [٥٧] . ووجود مثل هذه النشاطات الاجتماعية في العصور الجاهلية ، وكذلك في العهود الحديثة وبأجزاء مختلفة من بلاد اليمن ، أو الحجاز ، أو حتى تهامة والسراة وغيرها من بلاد شبه الجزيرة

المجاورة والمحيطة بأرض السراة يؤكد على وجودها القديم بين أهل السراة منذ عهود ما قبل الإسلام واستمرارها عبر العصور الإسلامية حتى الآن (٥٨) .

ب – المتجول في أرض السراة الممتدة من صنعاء إلى الطائف يجد آثار التراث الشعبي الحضاري متمثلة في طباع أهل هذه البلاد ، وفي أناشيدهم ، وأغانيهم الشعبية ورقصاتهم ، وأهازيجهم ، وكذلك في رواياتهم وأقاصيصهم الشعبية التي تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم . بل إن كثرة العشائر والقبائل والكوادر البشرية بهذه الأرض لدليل آخر على ثراء تراثهم الشعبي ، وعلى أنه من الطبيعي أن يكون بينهم تعايش وتعاون في ممارسة العديد من النشاطات الاجتماعية ، كالبيع والشراء ، والحرث والزراعة ، وممارسة أنواع عديدة من الرقصات ، والرياضات ووسائل التسلية البريئة ، والزيارات الأسرية والتعاون ومشاركة بعضهم بعضًا في الأفراح والأحزان وحفلات الزواج ، والختان ، والأعياد ، وكذلك في الجنائز والمآتم وغيرها من كوارث الزمان ومصائبه (٥٩) .

جـ – إن المتمعن في النقوش والآثار والرسوم المتناثرة بأرض السراة الممتدة من قاع اليمن إلى الحجاز ، يزيد تأكده من وجود زخم هائل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية بهذه البلاد ، فهذا النوع من المصادر أو الأدلة المادية يمدنا بمادة علمية طيبة قد تفيد الباحث لو وجدت من يجمعها ويفحصها ويحللها ، ثم يجعلها بين يدي القارئ كي يستفيد منها ويعرف كيف كان يعيش أولئك الأقوام مع ما كان يقابلهم من صعوبات وشظف للعيش في شتى مجالات الحياة (٦٠) .

خامسًا - العمران في بلاد السراة :

تَنوَّعَ العمران في بلاد السراة ، واختلف من مكان لآخر ، فحفلت البلاد بعديد من المنشآت المدنية والعسكرية والدينية في الفترة موضوع البحث ، وهذا التنوع والاختلاف يعود في الأساس إلى إمكانيات أهل السراة من ناحية ، وإلى طبيعة المنطقة ذات التباين الواضح في التضاريس من ناحية أخرى . فهناك النواحي ، والمخاليف ، والمدن ، والقرى ، والأودية، والبوادي التي تسكنها الأسر، وما يتبع تلك المواطن من أبنية ومرافق متعددة لخدمتهم ، وهناك أيضاً منشآت عمرانية أخرى سوف نأتي للحديث عنها في صفحات تالية من هذا العنصر (٦١) .

أما الشيء الغالب على أرض السراة في العصور المبكرة والوسيطة ، أنه يوجد فيها كثير من المدن والقرى الحضارية ، وغالباً ما كانت تلك المراكز العمرانية تقع على الطريق التجاري الواصل بين صعدة ونجران في الجنوب ، وبين الطائف ومكة المكرمة في الشمال ، أو في مرتفعات السروات الجبلية الممتدة من نجران إلى الطائف (٦٢) . والجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل أفضل من دون لنا معلومات عن أسماء ومواطن تلك المراكز الحضارية ، وبخاصة الواقعة على الطريق التجاري الذي يصل بين الطائف وصعدة ، ومن أهم تلك المدن والقرى : الطائف ، وتربة ، ورنية ، وتبالة ، وبيشة ، وجرش ، ونجران ، وصعدة (٦٣) .

أما القرى والمدن الحضارية الواقعة بالمرتفعات الجبلية في السروات فالهمداني خير من حفظ لنا معلومات عن تلك النواحي ، فأشار إلى

كثير من أسماء المواطن مع ذكر أسماء القبائل والعشائر التي كانت تسكنها في عصره ، وأحياناً يذكر حجم الموطن الذي أشار إليه ، فيوضح هل هو مدينة أو قرية ، أو وادٍ ، أو ناحية فيقول عن شيبة بن عنز الساكنين ببلاد القرعاء في سراة عسير : "ولهم قرية كبيرة ذات مسجدجامع يقال له المسقى ..."(٦٤) . وعن مواقع أخرى في سراة الحجر يقول : "سدوان واد فيه قرية يقال لها رحب "(٦٥) ، ويقول أيضًا : "تنومة واد فيه ستون قرية ... ثم الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهوة ... ثم نحيان واد مستقبل القبلة"(٦٦) ، ويضيف أيضا أن " الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش"(٦٧) ، ويتابع الهمداني إشاراته على هذا المنوال إلى عديد من القرى والمدن والمواطن المنتشرة في بلاد السراة (٦٨) .

وفي القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي يشير ابن المجاور إلى وضع مواطن بلاد السروات من الطائف إلى نجران فيقول : "جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب ، وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم ..."(٦٩) يشاهد القرى القديمة ببلاد السراة يلحظ صحة ما ذكر ابن المجاور ، بل يشاهد أمورًا أخرى تتمثل فيما يأتي :

أ - تراكم منازل القرية الواحدة بعضها فوق بعض مع وجود ممرات ضيقة جدًا فيما بينها ، وهذا التخطيط في اندماج بيوت سكان القرية وتقاربها ربما كان ناتجًا عن الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي لانتشار الفوضى وتعدد حالات السلب والنهب ، بالإضافة إلى ما شاع آنذاك من

غارات القبائل على بعضها طلبًا للقوت ، مما استلزم تقارب أفراد القبيلة أو القرية الواحدة في مساكنها حتى يتكاتفوا في صد أي عدوان خارجي يهاجم مضاربهم (٧٠) .

ب - يظهر على كثير من القرى القديمة أنها توجد حول المناطق الزراعية ، أو بعض الأماكن الرعوية المتوافر فيها الماء والكلأ ، أو أنها توجد حول أسواق تجارية أسبوعية مرتبطة مع العديد من الطرق التجارية البرية ، وبهذا فمواقع القرى ببلاد السراة كانت متأثرة بالحياة المعيشية ، وبما يعود على أفراد القرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم ، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منها (٧١) .

جـ - تظهر آثار بعض الأسوار التي كانت تحيط في الماضي ببعض القرى ، مثل بيشة ، وتبالة ، ورنية ، وجرش ، وكذلك الجهوة بسراة الحجر (٧٢) ، ولا نستبعد أن كثيرًا من المدن والقرى الكبيرة في بلاد السراة كانت محاطة بأسوار لحمايتها من أي هجوم خارجي (٧٣) . وتؤكد المصادر المبكرة على أن مدينة الطائف كانت محاطة بسور أثناء محاصرة الرسول ﷺ لأهلها في السنة الثامنة للهجرة ، ومن ثم فقد استعصى على المسلمين فتحها لحصانة أسوارها ، فلم يدخلوها إلا بعد أن دخل أهلها الإسلام(٧٤) . وما نجده في المصادر عن قصة دخول الأزديين الإسلام فقد كانت مدينة جُرش يحيط بها سور حصين ، ولم تستسلم هذه المدينة لقائد الجيش الإسلامي صرد بن عبدالله الأزدي إلا بالحيلة والخديعة (٧٥) .

كما نشاهد كثيرًا من الحصون القديمة في أغلب قرى بلاد السراة وحواضرها ، ونلحظ أن هذه الحصون تنقسم إلى نوعين : منها ما هو

داخلي للدفاع عن القرية وسكانها ، وهذه توجد في داخل القرى ، ومنها الحصون الخارجية والأبراج البرانية وتوجد في الأودية وقريبة من الأراضي الزراعية ، وأخرى نشاهدها في رؤوس الهضاب والجبال (٧٦). وقد أمدنا ابن المجاور ببعض المعلومات عن قصور السروات وحصونها ، فذكر المواد المستخدمة في بنائها كالحجر والجص ، كما أشار لاستخدام سكان القرى الأدوار السفلية في الحصون والقصور مخازن للحبوب يقتاتون منها في أوقات الحصار الطويل ، كما يتولون أو يتناوبون حراسة الحصن من كل جهاته فيقول : "وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر ، يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه"(٧٧) . وهذا النوع من القصور أو الحصون التي أوردها ابن المجاور وتستخدم - كما أوضحنا - مستودعات لأهل القرية يخزنون فيها حبوبهم ، وما يتم إنتاجه من مزارعهم كان أمرًا شائعًا عند معظم سكان السروات حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، العشرين الميلادي ، وما زالت معظم الحصون التي كانت تستخدم من قبل سكان القرى ماثلة للعيان ، مع العلم أنه بدأ يظهر على الكثير منها علامات الهدم والخراب ، حيث تثلمت واندرست أجزاء كثيرة منها (٧٨) . كذلك ما زلنا نشاهد قصوراً وحصوناً أخرى في بلاد السراة ، ومنها ما هو داخل القرى وأخرى خارجها . فأما القصور التي داخل القرى غير التي ذكرها ابن المجاور فربما استخدمت للسكن الخاص من قبل أهلها، وفي الغالب لا يمتلك مثل هذه القصور إلا شيوخ القبائل وأعيانها ، وهذه القصور كانت أيضًا غاية في الحصانة والمنعة لتصمد أمام الهجمات الخارجية وفترات الحصار ، حيث اعتادت القبائل الإغارة على بعضها(٧٩) .

أما الحصون الواقعة على قمم الجبال أو في بطون الأودية فكانت تستخدم في المقام الأول للأغراض العسكرية من قبل رجال القرية أو العشيرة المالكة لمثل هذا النوع من الحصون ، حيث يستخدمونها في حروبهم ودفاعهم عن مضاربهم وأموالهم من أي عدو يداهمهم (٨٠) .

وجميع القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة مبنية من الحجارة ، أو من الطين ، أو بهما معا . وهذه المواد الأساسية في البناء كانت محلية إلا أن البيوت والقصور وملحقاتها تختلف من بناء إلى آخر من حيث ضخامتها ، وتعدد طوابقها ، وسعة بنيانها ، وذلك الاختلاف يعود إلى مكانة صاحب البيت الاجتماعية وقدرته المادية ، فالأغنياء وشيوخ القبائل وأعيانها عادة يمتلكون بيوتًا واسعة وكبيرة . ونرجح من خلال إشارات قليلة أمدتنا بها المصادر التاريخية وبعض المعالم الأثرية أن دُور أهل الوجاهة تتميز بالحصانة وارتفاع أسوارها الخارجية ، وتستخدم الأحجار بشكل أساسي في بنائها ، ويظهر الإتقان والوثاقة بشكل واضح في البناء الخارجي ، علاوة على الاهتمام بالزخرفة الداخلية لدور هؤلاء الوجهاء وإبراز مدى ثرائهم من خلال هذا التأنق في الفرش والأثاث وغالبًا ما كانت دور أهل الطبقة الراقية تنقسم من الداخل قسمين أحدهما خاص بحريم الدار ، وهي الغرف الداخلية ، بينما الأجزاء الخارجية منه تخصص لاستقبالات رجال الدار لضيوفهم وعقد مجالسهم ومسامراتهم (٨١) .

أما الفقراء وعامة الناس فقد لا يمتلكون إلا غرفة أو غرفتين وربما ثلاثًا ، وهي تكفيهم سكنًا مع مواشيهم وجميع أغراضهم . والمصادر المبكرة لا تفصّل لنا الحديث عن طبيعة البيوت وأحجامها في بلاد السراة ، لكن بعضها أشارت إلى تعدد طوابق البيوت في كل من صنعاء ومكة المكرمة

والمدينة المنورة ، وإلى استخدام الآجر والجص ، وكذلك اللبن والطين ، كما كانت أغلب البيوت تفرش بالبسط والفرش التي كانت في الغالب من الصوف أو الشعر والأدم (٨٢) .

وأشار الأزرقي إلى أن أهل مكة كانوا يتخذون صفائح من الحجارة تكون أشبه بالرفوف ، وتستخدم في وضع متاعهم وحاجاتهم عليها ، وقل أن يخلو بيت من تلك الرفوف (٨٣) . ونستطيع القول بأن بلاد السراة وخصوصًا المراكز الحضارية فيها ، لا تختلف كثيرًا في بنيانها عما كان سائدًا في حواضر الحجاز واليمن ، وذلك لأسباب عدة ، منها :

أ - وقوع بلاد السراة بين اليمن والحجاز ، ومن ثم فالسرويون كانوا على احتكاك دائم مع أهل اليمن والحجاز وتجارهما، بل كان بعض السرويين - كما أشار الأزرقي وغيره - يمتلكون بيوتًا وعقارات في مكة المكرمة وما حولها(٨٤) ، ولهذا فليس بغريب على أهل السراة أن يقلدوا الحجازيين في بناء منازلهم .

ب - وفرة مواد البناء الأساسية في بلاد السراة ، فالطبيعة الجغرافية لأراضي السراة تتوافر فيها الحجارة الصالحة للبناء ، وكذلك الأخشاب وما شابهها من المواد اللازمة للتشييد والبناء (٨٥) .

جـ - أن حسن جو بلاد السراة وخاصة في فصل الصيف جعل بعض أهل مكة المكرمة وجدة يمتلكون دورًا وعقارات في بعض النواحي السروية القريبة من الطائف ، بل كان بعضهم - كما سبق القول - من خلفاء بني أمية وبني العباس وأمرائهم يمتلكون بيوتًا وبساتين في الطائف ، وتربة، وبيشة، وجرش، ونجران ، وصعدة ، وصنعاء (٨٦) ، بل كان بعض أمراء الأشراف في العصور الإسلامية الوسيطة ، وكذلك وجهاء مكة

المكرمة وأغنياؤها يمتلكون هم أيضًا دورًا وعقارات وبساتين في أرض السراة . وأصحاب تلك الملكيات جميعهم كانوا يبنون ويمتلكون بيوتًا جيدة تتشابه مع دورهم وبساتينهم المقامة في الحجاز ، والشام ، والعراق ، ومصر وغيرها (٨٧) .

د - الإشارات المتواترة في بعض كتب الرحلات المتأخرة زمنيًا عن فترة البحث والتي تعالج في أغلبها القرون الهجرية الثلاثة الماضية وتتحدث عن مستوى الناحية العمرانية في أرض السراة ، نلحظ من خلال ما أوردته أن تفصيلات العمران السروي لا تختلف كثيرًا عن طبيعة العمران التي كانت سائدة في تلك المجتمعات خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وخاصة فيما يتعلق بالمواد الأساسية المستخدمة في البناء ، وحجم المباني ، فنجد على سبيل المثال الرحالة الفرنسي موريس تاميزيه الذي زار تلك المناطق في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي يذكر بعض المواقع في بلاد السراة ، وعَدَّد قراها فذكر عن بيشة أن فيها نحو ستين قرية ، أكبرها نمران (٨٨) ، والروشن الكبير والروشن الصغير ، وهذه القرى مبنية بالطين ويستعمل أهلها في البناء جذوع النخيل ، ويختلف الناس إليها من بابين أو ثلاثة أبواب تغلق في أيام الحرب ، وجدران بيوتها متلاحمة ، فهي مثل السور في وجه العدو ، ومعظمها يتكون من طابق واحد فقط (٨٩) .

ويأتي إلى بلاد السراة ، قبل الحرب العالمية الأولى ، رحالة انجليزي يدعى السير كيناهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis) فيشير إلى مواقع عديدة في الأراضي السروية مثل : بلدة النماص بسراة الحجر ،

وقرية الشعبين في بلدة رجال ألمع ، وسراة عبيدة في بلاد قحطان ، وقرية الظفير في سراة غامد وزهران ، ثم يصف طبيعة البيوت في تلك المواطن ، والطريقة والمواد المستخدمة في عملية البناء[٩٠] . والجيد في ملحوظات هذا الرحالة أنه ذكر شيوع استخدام الحجارة في بناء العديد من المنازل ببعض تلك المواقع ، مما يؤكد المكانة الاجتماعية المتميزة لغالبية أهلها وثرائهم ، فقال عن قرية الظفير: "... **هي قرية كبيرة ، وفيها حوالي (٤٠٠) بيت من الحجر ... وهي بلدة السوق الرئيس**" [٩١] . كما أشار أيضًا إلى مثل ذلك في النماص والشعبين وسراة عبيدة [٩٢] ، ويشير سليمان شفيق باشا الكمالي [٩٣] إلى طبيعة بعض القرى الواقعة في سراتي عسير وشهران (مخلاف جرش قديمًا) مثل : قرى القرعا والمسقى وما حولها ، فيشير إلى استخدام الحجارة في بناء معظم منازل القرية التي تتصف باتصالها وتلاصقها بحيث تشكل سورًا أو خطًا دفاعيًا ، ويكمل من حصانة هذه القرى أزقتها الضيقة الملتوية [٩٤] ، وهي بهذا الوصف لا تختلف كثيرًا عن غيرها من المدن والحواضر الإسلامية التي قام على إنشائها المسلمون الفاتحون في شتى الأمصار الإسلامية حيث كانت تتسم بهذه الصفات المعمارية ، كما تابع وصفه لقرى عديدة بأرض السراة فذكر أن أغلب منازلها تتكون في الغالب من طابقين أو ثلاثة وتتميز بالبساطة في شكلها الخارجي، بينما تأنق البناؤون في زخرفتها من الداخل ، وهذه الصفات من مميزات العمارة الإسلامية على امتداد العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والمتأخرة زمنيًا [٩٦] ، فيقول : "... وقرى هذه الجهات - ويقصد بلاد السراة - مبنية بالحجارة ، وفيها أزقة ضيقة ، ومنازل متصلة ، بحيث تشبه القرية قلعة قائمة بذاتها ، ومنازل القرى ذات طابقين أو ثلاثة طوابق ، وهي مطلية من داخلها بالجير ، وذات منظر جميل" [٩٧] .

ويأتي الشريف البركاتي وكان معاصرًا لكل من الرحالة الإنجليزي كورنواليس (Cornwallis) وسليمان باشا الكمالي فيصف بعض القرى في الأجزاء السروية مثل أبها وبيشة وتنومة ، ويأتي وصفه متفقًا مع ما أورده كورناليس والكمالي من حيث ضيق منازل القرية وتراكمها بعضها على بعض ، ومن حيث عدد طوابق المنزل الواحد ، والمواد المستخدمة في بنائه [٩٨] . ويضيف بعض التفاصيل الأخرى عن بلاد بارق الواقعة في الأجزاء التهامية ، فيشير إلى تأسيس منازلها بالحجر المنحوت ، وارتفاع طوابقها إلى ثلاثة أدوار فيقول : "**وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية ، كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة**"[٩٩] .

ويظهر رحالة متأخر في نهاية القرن الهجري الماضي من أحد أبناء سراة عسير[١٠٠] ، فيصف بعض القرى والمنازل في بلاد السراة فلا يذهب بعيدًا عما ذكره المؤلفون السابقون على امتداد العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة، ولكنه أفاض في الحديث عن بعض القرى ، فأمدنا بتفصيلات كثيرة جديدة عنها ، مثل ما أورد عن بلدة النماص وما حولها من القرى الواقعة في سراة الحجر ببلاد بني شهر ، فقال : "**ويحيط بالنماص حوالي ثلاثين قرية .. ويلاحظ وجود قلاع وحصون منيعة في معظم القرى الواقعة في منطقة النماص ، وطريقة البناء في كل المنطقة بالحجارة ، فلا ترى بيتًا باللبن ، أو بالطوب ، بل جميع هذه بالحجارة ما عدا بعض البيوت الواقعة في بلاد بني الأحمر (بللحمر) فإن أسفلها (قواعدها) بالحجارة ، وأعلاها باللبن ، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القرى مدهشة وعجيبة في نفس الوقت ، إذ إنهم**

يستعملون في بنيانها صخورًا كبيرة قلَّ أن يحمل الصخرة الواحدة خمسة من الرجال ..."[١٠١] .

وكل ما أشار إليه الرحالة المتأخرون السابقو الذكر ربما يقرب لنا الصورة نوعًا ما عن طبيعة القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة منذ فجر الإسلام حتى العصور الوسطى ، مع العلم أنه من الصعب علينا في الوقت الحاضر أن نرسم صورة واضحة عن تلك المدن والقرى من حيث هندستها وتخطيطها ، وطراز أبنيتها وارتفاعاتها ، أو عن مساحتها ومرافقها ، وذلك لندرة ما تضمنته المصادر المعاصرة زمنيًا أو المتأخرة من معلومات عن العمران السروي ، بالإضافة لانعدام التنقيبات الأثرية العلمية في هذه المنطقة ، ونحن واثقون لو تهيأ الأمر لإيفاد بعثات أثرية لهذه البلاد السروية - وتكون على شاكلة البعثات العلمية الأكاديمية التي تقصد الفاو أو الربذة في الجزيرة العربية ، أو التي تقصد العراق وإيران وبلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد العربية - لتوافرت لدينا مادة علمية غزيرة تكشف الكثير من الغموض الذي يلف تاريخ حواضر السرويين ومواطنهم في العهد الإسلامي بصفة عامة والقرون الأولى منه على وجه الخصوص ، ويكمل ما توصلنا إليه من خلال صفحات هذا البحث[١٠٢] .

ومن الأنماط المعمارية أيضًا التي عرفتها بلاد السراة العمران الديني والمتمثل بصفة أساسية في بناء المساجد ، فلا تخلو قرية من قرى السراة من وجود مسجد يصلي فيه أهل القرية ، ويتدارسون فيه أمور دينهم ، وتقام فيه حلق تدريس القرآن ، وأحيانًا يجتمع فيه رجال القرية أو العشيرة للتشاور فيما يتعلق ببعض شؤونهم الحياتية والدنيوية [١٠٣] ، ولسنا في هذه الدراسة بصدد الحديث عن المسجد ودوره في الحياة الدينية والعلمية

والدنيوية لأن هناك عشرات الكتب والدراسات التي تعرضت لهذا الجانب ، ثم إننا أشرنا أيضاً إلى شذرات عن أهمية المسجد عند أهل تهامة والسراة في بحثنا الموسوم بـ " **ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** " .

ولكن ما يهمنا هو نمط مساجد السراة من الناحية المعمارية ، والذي يعود إلى كتب التراث الإسلامي المبكرة يجدها تخلو من الإشارة إلى هذه الناحية ، ولكن ظهر بعض الباحثين المتأخرين خلال القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الهجريين ، العشرين الميلادي فذكروا أسماء عدد من المساجد في بلاد السراة وذكروا تواريخ بعضها التي تعود إلى القرون الهجرية الأولى (١٠٤) ، بل إن بعضهم أشار إلى تواريخ تشييد مساجد أخرى خلال القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث(١٠٥) . ولكوني من أبناء بلاد السراة فقد ذهبت إلى بعض المساجد التي ذكرها هؤلاء الباحثون فلم أجد أثرًا للتواريخ التي ذكروها في مدوناتهم ، بل سألت بعض سكان القرى القريبة المجاورة لبعض تلك المساجد فوجدتهم لا يعرفون تاريخًا دقيقًا لتلك المساجد ، وإنما بعض منهم يقول : لقد سمعنا من الأوائل أن هذا المسجد قد تم تشييده عام كذا وكذا ، ولهذا فإنني أخشى أن هؤلاء الباحثين - وبخاصة من ذكر تواريخ بناء مساجد في القرون الهجرية الثلاثة الأولى - قد دونوا معلوماتهم بناء على ما سمعوا من رواة لا يعرفون الحقيقة بسبب عامل البعد الزمني بين القرون الهجرية الأولى وبين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين (١٠٦) . كما أنني قد شاهدت أثناء تجوُّلي في المنطقة عدة أمور تتعلق بالمساجد من الناحية المعمارية

تكاد تجزم بعودة بعضها إلى العصور الإسلامية الوسيطة ، وذلك من خلال دراسة الكتلة المعمارية للمسجد ، وموقعه من المدينة والقرية ، وتوافق ذلك مع العديد من المساجد التي أقيمت في حواضر إسلامية عديدة في العصور الوسطى ، فعلى سبيل المثال :

أ - لا تكاد قرية من القرى القديمة في بلاد السراة تخلو من مسجد يتوسط القرية ، فتحيط به المنازل من كل ناحية ، وتؤدي إليه الطرق من كل مكان ، وغالبًا ما يكون أمام المسجد فناء أو ميدان فسيح - حسب مساحة القرية - يخرج إليه المصلون بعد صلاتهم ، وقد يستخدم هذا الفناء لاجتماعات رجال القرية والتشاور فيما بينهم بخصوص حل مشكلاتهم وإصلاح أمورهم . وهذه الهيئة التي رأينا عليها المساجد في السراة هي الطريقة نفسها التي ذكرتها المصادر الإسلامية المبكرة في الأمصار والمدن والقرى الإسلامية الأخرى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها (١٠٧) .

ب - جميع المساجد القديمة التي شاهدناها تتكون من دور واحد فقط ، ولا يوجد بها مئذنة ، وغالبًا ما يوجد بجانب بعضها وضمن بناية المسجد غرفة صغيرة قد تستخدم لأغراض عديدة في خدمة المسجد ، مثل : استخدامها سكنًا للغرباء المسافرين الذين قد يتوقفون في القرية للحصول على بعض الزاد والراحة ، وأحيانًا كان يوضع بها بعض الأغراض الخاصة بالمسجد . كما أن بعض المساجد التي شاهدناها في بلاد قحطان ، وعسير ، وشهران ، ورجال الحجر ، وغامد وزهران توجد فيها آثار مكان يجمع فيه الماء ليستخدمه بعض رجال القرية أو المسافرين للوضوء أثناء الصلاة ، وهذه الأماكن يطلق عليها أحيانًا "بركة" وجمعها "برك" (١٠٨) .

جـ ـ يظهر أن مواد بناء المسجد كانت من مواد بناء الحصون والقصور والمنازل الأخرى نفسها ، لكن شاهدنا في بعض بلاد قحطان وشهران وعسير استخدام الطين في البناء ، وأحياناً تستخدم الحجارة والطين ، فالأجزاء السفلية من البناء تشيد من الحجارة ، وتستكمل الأجزاء العلوية من الطين . أما سروات الحجر ، وبلقرن ، وشمران ، وغامد وزهران فمعظم المساجد وغيرها من الأبنية من الحجارة ، وذلك يعود إلى توافر الحجارة بجميع أنواعها في بلادهم ، وهذا النمط من البناء قديم واستمر معمولاً به حتى عهد قريب (١٠٩) .

د ـ معظم المساجد القديمة التي شاهدناها صغيرة الحجم ، فلم أر مسجداً تصل مساحته إلى أربع مئة متر ، مع العلم بأنني قد رصدت مشاهدتي لأكثر من أربع مئة مسجد في المنطقة الممتدة من بلاد قحطان جنوباً حتى بلاد زهران شمالاً ، وجميع المساجد التي شاهدناها تتراوح مساحتها من (٣٠م٢) تقريبا إلى (٢٠٠م٢) وربما (٢٥٠م٢) على أكثر تقدير (١١٠) .

أما عن عمران البادية فالمعروف أن أهل السراة من سكان البادية كانوا يعيشون حياة متواضعة ، ولا يمتلكون بيوتاً مشيدة من الحجارة والطين كما هو الحال عند أهل الحواضر ـ كما أسلفنا القول في الصفحات السابقة ـ وإنما بيوتهم كانت عبارة عن خيام من الشعر يقومون بنسجها من أصواف مواشيهم ، وينقلونها معهم عند تجوالهم أو ترحالهم من مكان لآخر بحثاً عن العشب والماء الذي تعيش عليه أغنامهم وبهائمهم (١١١) .

ومن الأبنية الأخرى في بلاد السراة تلك المدرجات الزراعية التي نشاهدها في طول البلاد وعرضها ، فلا نكاد نرى مواطن زراعية إلا ويحيط

بها من معظم الجهات أسوار مبنية بطريقة جميلة وجيدة . وقد يرجع تاريخ بعض تلك الأسوار إلى مئات السنين ، وتتفاوت في الارتفاع ما بين نصف متر إلى مترين ، وربما بلغ ارتفاع بعضها ثمانية أمتار أو عشرة (١١٢) . والفوائد التي يمكن استخلاصها من تعمير مثل هذه المدرجات هي أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة صنعتها سواعد أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشكلات طبيعية أو بشرية أو غيرها . كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار ، إلى جانب الحفاظ على كل قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة لها (١١٣) .

وهناك أسوار أخرى نشاهد بقاياها على بعض الأحمية (١١٤) في رؤوس الجبال وقيعان الأودية ، وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار يبلغ ارتفاعها ما بين متر إلى مترين . وهناك أسوار أخرى كانت تبنى لبعض الأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، لتكون معالم حدود بين منطقتين والمميز في طبيعة هذه الأسوار أنها متواضعة في بنائها وتشكيلها ، وغالبًا تبنى بالحجارة فقط دون أن يخلط معها التراب أو الطين ، خلاف ما يحدث في بناء المنازل ، والحصون ، والمدرجات الزراعية (١١٥) .

ومن المعالم العمرانية الأخرى حفر الآبار التي يصل عمق بعضها إلى خمسين مترًا أو أكثر ، علمًا بأنه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشاهد في وقتنا الحاضر ، وإنما أدوات حفرهم كانت متواضعة وبدائية في قدرتها وفي طريقة تصنيعها. وعند الانتهاء من حفر أي بئر يطوى جزؤها العلوي ببناءٍ يكسبها شكلاً جمالياً جيداً ، ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها

العلوية [116] .

ومن خلال جولاتي الميدانية في أجزاء عديدة من بلاد السراة خلال العشرين عاما الماضية ، شاهدت بعض القبور المبنية فوق سطح الأرض ، والتي يصل ارتفاع بعضها إلى ثلاثة أمتار وأربعة تقريبًا ، وأكثر ما رأيت هذا النوع من القبور في بعض الأجزاء الشرقية من سراتي قحطان وشهران [117] ، وفي وادي عياء [118] ، ووادي ترج ، ومنطقة الحدب من سروات بلاد الحجر [119] .

والملحوظ على بعض تلك القبور جمال بنائها ، وأحيانًا نقشها بالجص أو حجر المرو ، وإلى جانب هذه القبور السطحية هناك قبور أخرى مدفونة تحت الأرض ، والكثير منها على غير اتجاه القبلة. وقد لحظنا على القبور الواقعة في وادي عياء ببلاد بللحمر ، ووادي ترج ببلاد بني شهر كثرة عددية لتلك القبور ، والشيء الغريب أني لم أجد في المصادر التاريخية المبكرة أي إشارة لمثل هذا النوع من القبور في بلاد السراة ، وحاولت أن أعرف تاريخًا لها من بعض المُسنِّين في تلك المناطق فلم أجد إجابة شافية أستطيع الاعتماد عليها ، علمًا بأن بعضهم يعتقدون وبدون دليل أنه حدثت هناك حروب دامية اقتتل فيها أعداد كثيرة من الناس ، ثم تم دفن من مات منهم في تلك الأماكن ، ولكن لو سلمنا جدلاً بهذا القول فما الأسباب التي جعلتهم يتقاتلون؟ وفي أي زمن كان قتالهم؟ ومن هم أولئك المتقاتلون ؟ ولو وجدنا إجابة لهذه الأسئلة لربما صَدّقنا هذه الرواية ، وإذا اعتقدنا بصحة هذا القول مثلاً ، حتى ولو لم نجد إجابة للأسئلة السابقة ، فمتى حصل الوقت الكافي لمن بقي حيًا فيشيد مثل تلك القبور السطحية ، ثم يعمل بعضها بالجص ، أو ينقشها بالمرو الأبيض حتى تصبح في هذا الشكل

المعماري الجميل[١٢٠] .

والشيء الذي لا أستطيع الجزم به : هل من الممكن أن مثل هذا النوع من القبور بني قبل ظهور الإسلام ؟ بدليل أن بعضها لم يكن على اتجاه القبلة ، وهذا أمر محتمل فيه الخطأ والصواب ، علمًا بأن أقسام الآثار والمتخصصين في هذا المجال بها في المملكة العربية السعودية هم المناط بهم العمل على تحديد تاريخ مثل هذه المقابر ، وإجراء الدراسات الأثرية الدقيقة لها وبخاصة أنه ما زال في بعض القبور السطحية الكثير من رفات الموتى التي عن طريق فحصها فحصًا علميّاً معمليّاً يمكن تحديد تاريخها ، وإن قلنا إن تاريخها ربما كان في العهود الإسلامية المبكرة ؛ فهذا قول يحتمل الخطأ والصواب أيضًا ، لأن بناءها أو حفرها على غير جهة القبلة ليس دليلاً قاطعًا ، فلربما من بناها ودفن الموتى بها كان جاهلاً بدفن المسلم ، فلم يكن يفكر في وضعه على اتجاه القبلة ، ولم يفكر أيضًا في عدم شرعية بناء القبور فوق سطح الأرض ، أو في حرمة نقشها وتزيينها ، ومن المحتمل أن بناء مثل هذه القبور وتشييدها حدث في القرون الإسلامية الوسيطة ، وبخاصة إذا علمنا ما ساد أجزاء عديدة في العالم الإسلامي من الفوضى والتخلف والجهل بأمور الدين الإسلامي [١٢١] .

سادسًا - الأطعمة والأشربة :

تختلف وتتنوع الأطعمة والأشربة التي اعتاد أهل السراة تناولها قديمًا ، باختلاف مناطقها ، ومستوى دخل كل أسرة عن غيرها ، ووفقًا لما يتوافر من منتجات زراعية وغيرها بكل منطقة ، كذلك كان لأهل الثراء منهم تأنق في ألوان الأطعمة التي يتناولونها وتختلف عما يتناوله الفقراء الذين يأكلون ما تيسر لهم حسب أرزاقهم ، كما أن الطبيعة ومصادرها ليست عند كل

الناس سواء ، فالعاملون في مهنة الرعي مثلاً أغلب أطعمتهم وأشربتهم من منتجات ما يمتلكون من حيوانات ، ولهذا شاعت في طعامهم الألبان وبخاصة الرائب منها الذي يتميز بلذة الطعم ولطف الرائحة(١٢٢) . والزبد فهو بمنزلة الجبن الرطب في غيرها من الأقطار ، بينما أصحاب المزارع والبساتين يكون جل قوتهم مما تنتجه حقولهم وبساتينهم ، والحرفيون والتجار في الحواضر والقرى الكبيرة يعتمدون في مأكلهم ومشربهم على ما يقومون بشرائه من المواد الغذائية المتوافرة في الأسواق المحيطة بهم (١٢٣).

كذلك تتنوع الأطعمة تبعًا للمناطق التي تتوافر فيها ومن يسكنها من أهل البداوة أو أهل الحضر ، فالمناطق البدوية كما هو معروف يغلب على طعامها اللحم والثريد والعصيد، بينما يغلب على سكان الريف حيث المزارع والبساتين تناول الخبز من البُر أو الدخن والذرة مصحوبًا بأدام السمن أو اللبن (١٢٤) .

وتشير بعض المصادر التاريخية المبكرة إلى بعض الأطعمة الرئيسة في بلاد السراة ، فالأزرقي ، والهمداني ، وابن المجاور ذكروا توافر حبوب الحنطة ، والدخن ، والشعير ، والذرة ، وأنواعًا أخرى من الحبوب في أغلب نواحي السراة (١٢٥) . ومن هذه الحبوب كان يعمل أهل السراة العديد من الأطعمة التي تختلف في الإعداد والصُنع ، فمنها ما كان على هيئة خبز ، أو هريس ، أو عصيد (١٢٦) .

وأحيانًا يضاف إلى تلك الأطعمة المتواضعة بعض الأشربة المحلية التي يتم الحصول عليها من الحيوانات الأليفة، كالأبقار والماعز، والضأن ، مثل الزبد ، واللبن والسمن ، أو من عصير بعض الأشجار ، كالزيتون ، والسمسم وغيره وإذا كانت الأطعمة الرئيسة عند أهل السراة لا تخرج عن الحيوانات المحلية ومشتقاتها الرئيسة ، أو من المحصولات الزراعية ، كالحبوب بجميع أنواعها ، فإن هناك أيضًا أطعمة عديدة كانت متوافرة لدى السرويين مثل

الفواكه والخضروات ، والهمداني وابن المجاور أفضل من أشارا إلى أنواع كثيرة من الفواكه والخضروات التي كانت منتشرة في أنحاء بلاد السراة[١٢٧] ، كذلك ابن جبير ، وابن بطوطة ، والقلقشندي أشاروا إلى كثرة الخيرات في بلاد السراة ، حتى إن السرويين أنفسهم كانوا يصدرون منتجات مزارعهم وحيواناتهم الكثيرة إلى أسواق الطائف ومكة[١٢٨] ، فيرغد أهل الحجاز بما جاءهم من خيرات السراة[١٢٩] . وقد استمرت بلاد السراة ترفد بلاد الحجاز بخيراتها إلى وقت قريب ، ويشير الأستاذ حمد الجاسر إلى ذلك بقوله : "... **لقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل ، أما الفواكه فقد كانت وسائل النقل في ذلك العهد لا تتمكن من نقل الفواكه وهي صالحة إلى البلاد الأخرى ، فكانت هناك تبلغ درجة من الوفرة بحيث كان كثير منها لا يباع بيعًا ، بل يتناول منه كل من أراد التناول بدون ثمن**" [١٣٠] .

ويذكر أبو حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي أن "التين أجناسه كثيرة ، برية وريفية وسهلية وجبلية ، وهو كثير بأرض العرب ، وأخبرني رجل من أعراب السراة ، وهم أهل تين ؛ قال : التين بالسراة كثير مباح ، ونأكله رطبًا ، ونزببه وندخره [١٣١] ، وقال أبو حنيفة أيضًا : استعمل أعرابي من السراة الزبيب للتين فقال : الفيلحاني تين شديد السواد ، جيد للزبيب [١٣٢] .

أما العنب فإنه يجود في السراة، ويعظم شجره بحيث تتخذ الصحاف منه على ما نقل أبو حنيفة في كتابه [١٣٣] .

وقال أبو حنيفة أيضًا : وأخبرني بعض الأعراب أنه يُنحت بالسراة صحاف من سيقان الكرم ، ومن عُجَرٍ تظهر فيها فتجيء خلنجًا موشاة

حسانًا جيادًا ، والكرم تغلظ ساقه عندهم غلظًا شديدًا (١٣٤) .

وأما العسل في السراة فيعد من أجود الأنواع . قال الدينوري : "(حِداب بني شبابة): جبال من السراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد ، وليسوا من فهم عدوان ، وهذه الحداب وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف ، وواحد الحداب حدبة ، وحداب بني شبابة أكثر السراة عسلاً وأجوده ، والغالب على عسلهم عسل الضرم ، وكذلك أخبرني بعض الأزد أن العسل قِرَى أضيافهم لكثرته عندهم ، والسراة أكثر أرض العرب عسلاً وعنبًا وتينًا وربًا ، وأنشدني في عسل الضّرم والندغ (١٣٥) :

كَأنَّ فَاهَا بَعْدَ نَومِ الهَادِي ... مَا تَجْمَعُ النَّحْلُ مِنَ الشِّهَادِ
مِن ثَمَرِ الضَهْيَاءِ وَالقَتَادِ ... والضّرمِ النَّضْرِ وَنَدْغٍ ثَادِ (١٣٦)

وقال : ويسمى العسل الذّوْب ، قال الجعدي في وصف امرأة :

وَكَأنَّ فَاهَا بَاتَ مُغْتَبقًا ... بَعْدَ الْكَرَى مِنْ طَيِّبِ الخمْرِ
شِرْكا بِمَاءِ الذّوْبِ تَجْمَعُهُ ... فِي طَوْدِ أَيْمَنَ مِنْ قرى قَسْرِ (١٣٧)

الطود الجبل : يعني جبل السراة ، ويريد بأيمن : اليمن ، وقرى قسر من السراة وكان المثل يضرب بحلاوة عسل بني شبابة ، ففي سجعات "أساس البلاغة" للزمخشري : كان عصر شبابي أحلى من العسل الشبابي(١٣٨) . وقال الهمداني وبسراة الحجر : البر والشعير والبلس والعتر واللوبياء ، واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والأجاص ، والعسل في غربيها(١٣٩) .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن سيول السراة تنحدر عنها منجدة ومتهمة

ولا يبقى منها سوى ما تختزنه أغوار الأودية في ظاهرها أو في جوفها ، فيتكون من الأول مياه تجري غيلاً طوال العام وقد تبقى أعوامًا ، وهي أكثر ما يستفيد منه السكان ، أما المياه الجوفية فهي قليلة ، إذ طبيعة أرض السراة صخرية فلا تختزن مياها كثيرة إلا في سفوحها ، ولهذا فإن الزراعة فيها تكون عثرية ـ أي بدون سقي ـ (١٤٠) .

ويقول عرام السلمي : " وكل هذه الجبال تنبت القرظ ، وهي جبال متقاودة بينها فتوق ، وفي جبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرظ والإسحل ، وفي كل هذه الجبال نبات وشجر من الغرب والبشام" (١٤١) .

ومن حاصلات السراة البر والذرة والعدس ويسمونه البلسن وهي تسمية فصيحة ، والشعير ، والتبن واللوز البجلي ، وتجود فيها الفواكه كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتين والموز ، وتزرع فيها الخضروات كالعنب ، وتختلف تلك الحاصلات والمزروعات باختلاف جهات السراة ، فتجود في ناحية دون أخرى حسب التربة وتوافر الماء وصلاح المناخ(١٤٢) .

وفي السراة أنواع من الشجر والنباتات الأخرى تجود في المنخفضات وجوانب الأودية ، وقد تغطى بعض الجبال (١٤٣) .

ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاتها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يتخذون أسلحتهم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوتهم ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون به قربهم وأنحاءهم ، ومن نباتاتها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم، أو سمّاً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة (١٤٤) .

سابعا - الخاتمة :

وخلاصة القول أن بلاد السراة يوجد فيها كثافة سكانية عالية من العهود الجاهلية حتى العصور الحديثة ، كما أن مقومات الحياة البشرية متوافرة بها ، حيث تتوع تضاريسها ، وخصوبة أرضها ، وتوافر المياه بها ، كما أن موقعها الجغرافي زادها أهمية لأنها حلقة الوصل بين بلاد اليمن والحجاز ناهيك عن أنها تصل ما بين الشرق عبر بلاد اليمامة والبحرين ، كما تصل إلى البحر الأحمر عبر أرض تهامة الواقعة غرب جبال السروات . كل هذه المميزات جعلت بلاد السراة تحتوي على أنماط اجتماعية عديدة عالجنا بعضها في هذه الدراسة ، ولكن ما زالت هذه البلاد بحاجة إلى دراسات علمية عميقة متخذة من الدراسات الأثرية مصادرها الرئيسة لمعرفة أوضاع الناس الذين كانوا يعيشون فيها ، ومظاهر حياتهم عبر عصور التاريخ .

وإنني أهيب بأقسام الآثار في المملكة العربية السعودية وكذلك المؤسسات العلمية المختلفة أن تولي التنقيب والدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية قدرًا من الأهمية حتى تميط اللثام لنا عما غَمُض من تاريخنا وحضارتنا التي لم نستطع الاستدلال على كل تفصيلاتها من خلال المصادر والمراجع التقليدية المعروفة . وإنني في هذه الورقة لا أدَّعي الكمال ولكن أسعى إلى المساهمة ولو بنصيب يسير لإلقاء الضوء على تاريخ وتراث حضارة بلاد السراة التي عشت وتربيت في أحضانها ، ومحاولة حفظ هذا التراث من الاندراس ، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الإحالات والمراجع والمصادر

(١) انظر جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) جـ ٤ ، ص١٢٨ وما بعدها ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة : **دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران** (مكة : نادي مكة الثقافي : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص١٧ وما بعدها؛ انظر أيضًا :-مجموعة أبحاث علمية منشورة في كتاب : **دراسات تاريخ الجزيرة العربية . الكتاب الأول . مصادر تاريخ الجزيرة العربية . جـ ١** . (الرياض : جامعة الرياض سابقا ، الملك سعود حاليًا) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص١٣ وما بعدها .

(٢) بعد خروج الخلافة الإسلامية من أرض الحجاز إلى الشام ثم العراق بدأ أرباب القلم وأهل الفكر والثقافة يتجهون نحو مراكز السلطة الإدارية ، سواء كانت في الشام أم العراق أم مصر أم غيرها ، ومن ثم لحق بشبه الجزيرة الإهمال والنسيان من قبل مدوِّني التراث ، فلم تحظ بالرعاية والاهتمام مثلما حظيت به غيرها من الأمصار الإسلامية . وللمزيد من التفصيلات انظر : صالح بن سليمان الناصر الوشمي . **ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري** (الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٢هـ) ص١٠١ وما بعدها ؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي . **اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول** (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٥٠ وما بعدها ، وللمزيد أيضًا انظر : مجموعة أبحاث علمية نشرت في كتاب : **دراسات تاريخ الجزيرة العربية . الكتاب الثالث . الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين** . الجزء الأول (الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص١٣٥ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن علي بن جريس . "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" **مجلة الدارة** . ربيع الآخر والجماديان ، العدد الثالث ، السنة (١٩) (١٤١٤هـ) ص ٧٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل" . **مجلة المؤرخ العربي** ، العدد الثاني ، المجلد الأول مارس (١٩٩٤م) ص ٧٣ وما بعدها ؛ وللمؤلف نفسه "**تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى**" . المؤرخ العربي المجلد (٩) جـ ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ٦٣ وما بعدها .

(٤) إن الآثاريين عليهم مسؤولية كبيرة في دراسة هذه المنطقة المعنية بالدراسة ، وكذلك غيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية ، حيث يوجد فيها الكثير من الكنوز التاريخية ، ولا يمكن العثور عليها إلا عن طريق التنقيب والدراسات الآثارية العلمية الجادة .

(٥) وهناك بعض الدراسات الآثارية التي خرجت عن مناطق عديدة في بلاد تهامة ، أما بلاد السروات فما زالت بحاجة إلى دراسة علمية آثارية ، وفي أثناء جولاتي المتعددة بأرض السراة شاهدت النقوش والرسوم والآثار المتنوعة منتشرة ببلاد السروات الممتدة من صنعاء وصعدة ونجران جنوبًا إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً . وللمزيد عن بعض المراجع والمصادر التي خرجت عن نقوش تهامة وآثارها انظر : أحمد عمر الزيلعي "**مدينة جازان الآثارية في ضوء نقش مؤرخ سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م**" ص٩٦ وما بعدها ؛ الزيلعي : "المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى (ق ٣-٩هـ/٩-١٥م)" **حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت** ، الحولية السابعة ، الرسالة (٣٩) (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ؛ الزيلعي : "**الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية**" (الرياض : مطابع الخالد للأوفست ، ١٤١٧هـ) ص١١ وما بعدها ؛ الزيلعي : "فخار القنفذة أهلني للدكتوراه" **جريدة عكاظ** ، ع (٣٧) ، ١١ ، س (٣٩) المحرم (١٤١٨ هـ) ص ٢٦ .

(٦) يوجد بالمكتبة العربية عدد من الدراسات التي تناولت بعض القرون الماضية المتأخرة ، وشملت الحديث عن مناطق جازان وعسير ونجران وما جاورها ، وأكثر من كتب عن هذه المناطق محمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن عبدالله آل زلفة ، وعبدالله بن محمد أبو داهش ، وعلي بن أحمد عسيري ، وإسماعيل بن محمد البشري ، وعمر بن غرامة العمروي ، بالإضافة إلى صاحب هذه الدراسة .

(٧) وفي اعتقادي لو تقدم بعض الآثاريين في المملكة العربية السعودية بمشروع مفصل إلى ولاة الأمر والمسؤولين في الدولة لدراسة الآثار في المملكة العربية السعودية بما فيها بلاد تهامة والسراة فإنهم - بإذن الله - سوف يجدون الدعم والتشجيع لتحقيق أهدافهم العلمية المنشودة . ونحن نشاهد اليوم وكالة الآثار بوزارة المعارف وكذلك الهيئة العليا للسياحة تبذلان قصارى جهودهما لدراسة الآثار والتنقيب عنها ، ولكن الطريق ما زالت أمامهما طويلة ، وما زالوا يحتاجون إلى الدعم المعنوي والمادي ، وسوف يجدونه - بإذن الله - من الحكومة وفقها الله تعالى ، وكذلك من رجال الأعمال والمقتدرين ماليًا في البلاد ، وهم ولله الحمد كثر .

(٨) ولمزيد من التفصيلات عن عام الوفود وأسماء القبائل والعشائر التي قدمت على الرسول ﷺ في المدينة المنورة لتقديم إسلامها بين يديه ، انظر : محمد بن سعد ، **الطبقات الكبرى** (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) جـ١ ، ص٣٢١ وما بعدها ، محمد حميدالله ، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص٧٥ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس ، " بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب السروة "**مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية** ، المجلد (٣٨) العام (١٩٩١-١٩٩٥م) ص٤١ وما بعدها.

(٩) المصادر نفسها .

(١٠) المصدر نفسه ، ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة يشاهد عددًا من الأسر والأفخاذ القبلية المنتشرة في هذه البلاد ، وهي من أصول مضرية عدنانية ، وللمزيد من التفصيلات انظر عز الدين بن عبدالعزيز بن فهد الهاشمي ، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** . تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) جـ٢ ، ص٢٧٥ ، ٤٨٣ ، جـ٣ ، ١٢٠ ؛ عبدالملك بن حسين العصامي المكي ، : **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** (القاهرة : المطابع السلفية ، د . ت) جـ ٤ ، ص٣٦٧- ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤٩٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٦ ؛ يحيى الحسين ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م) جـ٢ ، ص٨٢٩ ؛ عمر غرامة العمروي ، **قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام** (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) جزءان .

(١١) انظر أبو معين الدين ناصر خسرو ، سفرنامة **رحلة ناصر خسرو** ترجمه من الفارسية إلى العربية وحققه أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود (١٩٨٣م) ص١٤٢ ؛ جمال الدين يوسف بن المجاور : **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر** ، تحقيق لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١-١٩٥٤م) جـ١ ص٣٧-٣٨ .

(١٢) خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤٢ .

(١٣) خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤٢ ، ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ١ ، ص ٣٧ - ٣٨.

(١٤) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ١ ، ص٣٧ وما بعدها .

(١٥) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ١ ، ص٢٦ .

(١٦) ومن يتجول الآن بين قبائل السراة يجد لها فروعًا في السهول التهامية وفي البوادي الشرقية ، وجميع تلك الأصول والفروع تعود إلى مشيخة ورابطة واحدة . وللمزيد من التوضيحات انظر الحسن بن أحمد بن يعقوب بالهمداني ، **صفة جزيرة العرب** . تحقيق محمد بن على الأكوع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص٦٥ وما بعدها ؛ ابن جريس **"بلاد السراة من خلال صفة جزيرة العرب ..."** ص٧٧ وما بعدها ؛ جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب** ، جـ٤ ، ص٤١٤ وما بعدها .

(١٧) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢٥٥ .

(١٨) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢٥٥ ؛ وانظر عبدالله بن عبدالعزيز البكري . **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) مج١ ، جـ ١-٢ ، ص٣٧٦ ؛ حمد الجاسر "جرش قاعدة الأزد" **مجلة العرب** جـ٧ ، س (٥) (محرم / ١٣٩١هـ) ص٥٩٣ وما بعدها .

(١٩) مدينة الجهوة التي ذكرها الهمداني أحد المواطن الواقعة في بلاد بني شهر بمحافظة النماص ، وهي تقع ضمن قرى عشائر بني بكر التي تجاور بلدة النماص من الجهة الجنوبية الشرقية ، وللمزيد انظر غيثان بن جريس : "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" **مجلة العرب** ، جـ ٩ - ١٠ س (٢٧) الربيعان (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٦٠٧ وما بعدها .

(٢٠) الهمداني **صفة جزيرة العرب** ، ٢٦١ ؛ ابن جريس "**بلاد بني شهر وبني عمرو**" ص ٦٠٩ وما بعدها ، ابن جريس انظر "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" **مجلة العصور** ، مج (٩) ، جـ ١ (رجب / ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٦٣ وما بعدها .

(٢١) (أيد) قديمًا و (صدريد) حاليًا وادٍ صغير يوجد فيه قرية يطلق عليها هذا الاسم (صدريد) ، وهي على الطريق الرئيس الذاهب إلى الطائف وتبعد عن وسط مدينة النماص نحو الشمال حوالي (٤-٥) كيلو مترات ، وتتبع هذه القرية قبيلة كعب إحدى القبائل الرئيسة في بلاد بني عمرو بمنطقة رجال الحجر في بلاد عسير .

(٢٢) الهمداني ، **صفة** ، ٢٦١ .

(٢٣) الهمداني ، **صفة** ، ٢٥٥ وما بعدها .

(٢٤) انظر : جواد علي ، **المفصل** ، جـ٤ ، ص٤١٤ وما بعدها ؛ أبو محمد سعيد بن عوض آل رداد الأسمري . **تاريخ رجال الحجر ، المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر** (جدة : مطابع التوفيق ، ١٤١٧هـ) ص٢٣ وما بعدها ؛ عبدالله بن محمد أبو داهش ، **أهل السراة في القرون الإسلامية والوسيطة** (٤٠٠-١٢٠٠هـ) (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص٢٩ وما بعدها .

(٢٥) الأمير مرعي بن محمد تولى الإمارة على منطقة عسير ، وقد اتسع نفوذه حتى شمل نجران وهمدان جنوبًا وبيشة ورنية وبلاد غامد وزهران شمالاً ، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي . للمزيد من التفصيلات انظر : شعيب بن عبدالحميد بن سالم الدوسري ، **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر** (مصر : دار النصر للطباعة الإسلامية ، ١٣٦٥هـ) ص ٧٧ وما بعدها .

(٢٦) الدوسري ، **إمتاع السامر** ، ٨٠ ، وقد ذكر صاحب هذا المصدر حوالي ثلاثين شيخًا من الوجهاء والأعيان في بلاد عسير ، وشهران ، وقحطان ، ويام ، ورجال الحجر ، وشمران وغيرها .

(٢٧) وللمزيد انظر : أحمد بن عبدالله النعمي . **عسير في مذكرات سليمان الكمالي** (القاهرة : المطابع الحديثة ، د . ت) ٨٢ ؛ محمود شاكر ، **شبه جزيرة العرب : عسير** (بيروت : المكتبة الإسلامية ،١٤٠١هـ/١٩٨١م) ط٣ ، ص١٤٦ وما بعدها .

(٢٨) هناك مئات الوثائق التي بحوزة الباحث تؤكد على أن القبائل العربية هي الطبقة الرئيسة في تكوين مجتمع شبه الجزيرة العربية وبلاد السراة من الأجزاء الأساسية في الجزيرة

العربية ، فكانت ـ وما زالت ـ مطبوعة بالطابع القبلي ، ولكن سطوة القبيلة وشيوخها خفت كثيرًا في هذا العصر ، وذلك بسبب قيام مؤسسات حكومية حديثة تشرف على شؤون البلاد وتقوم على تنظيمها من أجل نشر الأمن والرخاء بين الناس ، وأن يكون الولاء للدولة وليس للقبيلة كما كان في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . لمزيد من التفصيلات انظر : الأسمري ، **تاريخ رجال الحجر** ، ص٢٩ ؛ غيثان بن علي بن جريس. **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ) ص١٦ وما بعدها ؛ ابن جريس ، **صفحات من تاريخ عسير** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ) جـ١ ، ص١٥ وما بعدها .

(٢٩) عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع ، **اليمن في صدر الإسلام** (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص١٣٩ وما بعدها ؛ أحمد عبدالله السومحي ، **أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري** (جدة : د . ن ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) جـ١ ، ص٢١ وما بعدها .

(٣٠) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٥٥ .

(٣١) الحسن بن أحمد الهمداني ، **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء**، تحقيق ونشر كرستوفرتول (السويد : أبسالا ، ١٩٦٨م) ص١٤٥ .

(٣٢) ويذكر الهمداني أنه كان يُطلق على أولئك الفرس الذين يعملون في معدن الرضراض اسم "فرس المعدن" ، انظر **كتاب الجوهرتين** ، ص١٤٥ ، ١٤٧ .

(٣٣) إن الرجل العربي كان يتجنب العمل في المهن والحرف اليدوية ، بل كان يطلق على من يمتهن المهنة أو الحرف اسم "القين" أو "العبد" ، وهذا الإرث الثقافي عرف عند العرب من قبل الإسلام واستمر على مر العصور الإسلامية المختلفة ، للمزيد من التفصيلات انظر : جواد علي ، **المفصل** ، جـ٧ ، ٤٥٣ ، ٥٠٥ ، ٥٤٣ ؛ غيثان بن علي بن جريس . **عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية** (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ - ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٧م) ص١٤٧ وما بعدها .

(٣٤) بلدة تربة تقع على الطريق الرئيس المتجه من الطائف نحو الجنوب ، وتبعد عن مدينة الطائف حوالي (١٠٠) كيلو متر، وقد ورد ذكرها في كثير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ، وهي غنية بمزارعها ووفرة المياه بها . زيارة الباحث لهذه البلدة في صيف عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣٥) للمزيد من التفصيلات انظر : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، **نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة** . مطبوع ضمن كتاب **المسالك والممالك لابن خرداذبة** (ليدن . مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ص١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣٦) البغدادي ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ١٨٨ وما بعدها ؛ حسين علي المسري "نجران ودورها السياسي والاقتصادي" **مجلة المؤرخ المصري** (القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، العدد (٩) (يوليو/١٩٩٢م) ص٤٦ وما بعدها .

(٣٧) المصادر نفسها .

(٣٨) المصادر نفسها .

(٣٩) المصادر نفسها .

(٤٠) لمزيد من التفصيلات عن هذه الطريق الشرقية انظر : ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، ص ١٣٤ وما بعدها ؛ قدامة ، **كتاب الخراج** ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ؛ غيثان بن علي بن جريس ، "ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية والوسيطة" ، **بحث منشور في ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** ، (القاهرة : اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) **حصاد** (٨) ص ١٦٥ - ١٧١ .

(٤١) ظهران الجنوب إحدى المحافظات الرئيسة في منطقة عسير ، وتبعد عن مدينة أبها حاضرة منطقة عسير حوالي (١٥٠) كيلو مترًا ، ويوجد فيها جميع المؤسسات الإدارية . لمزيد من التفصيلات انظر : أحمد حسين الوادعي ، **ظهران الجنوب دراسة تاريخية جغرافية** ، بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ ، كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود بأبها (١٤١٥هـ) ، يوجد منه نسخة ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٧) .

(٤٢) جميع هذه المدن "**سراة عبيدة ، وأحد رفيدة ، وتثليث ، وطريب**" توجد ضمن إمارة منطقة عسير ، ويوجد عنها العديد من الأبحاث العلمية ضمن مكتبة الباحث ، كان قد أنجزها طلاب قسم التاريخ في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها خلال الأعوام ١٤١٤هـ/ ١٤٢٠هـ .

(٤٣) غيثان بن علي بن جريس ، **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ص١٤ وما بعدها .

(٤٤) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٦٠ وما بعدها ؛ ابن جريس ، **بلاد بني شهر وبني عمرو** ، ص١٦ وما بعدها .

(٤٥) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٦٠ ؛ عاتق بن غيث البلادي ، **بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات)** (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص١١ وما بعدها .

(٤٦) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، جـ١ ، ص٩٧ ؛ وللمزيد انظر : ابن جريس "**ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة**" ص١٥٨ وما بعدها ؛ حسين السري "**نجران ..**" ، ص٤١ وما بعدها .

(٤٧) والمصادر والمراجع الخاصة بتاريخ اليمن والحجاز مليئة بالتفصيلات التي تناقش طبقات المجتمع وأنسابهم وأعمالهم ، ثم إن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت

نشطة بين الناحيتين (الحجاز واليمن) متخذة بلاد السراة معبرًا رئيسًا بينهما . انظر : القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي ، **المقتطف في تاريخ اليمن** (بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص٩٧ وما بعدها ؛ جميل حرب محمود حسين . **الحجاز واليمن في العصر الأيوبي** (جدة : تهامة للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٥ وما بعدها ؛ ريتشارد مورتيل ؛ **الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي** (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص١٧٣ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس ، **بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة : دار العويفي للإعلان ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص١٢٨ وما بعدها .

(٤٨) المصادر نفسها .

(٤٩) وكان العبيد يعملون في بعض بيوت الوجهاء والأعيان ببلاد السراة إلى العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري ، العشرين الميلادي ، ثم تم إعتاقهم تدريجيًا حتى تم إلغاء الرق تمامًا في المملكة العربية السعودية خلال عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - .

(٥٠) جولات الباحث الميدانية خلال السنوات الثلاث الماضية (١٤٢٠ - ١٤٢٢هـ) ومشاهداته للعديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية في جنوبي البلاد السعودية .

(٥١) قدامة ، **كتاب الخراج** ، ص١٨٨ ، ١٨٩ ؛ محمد بن سلام الجمحي ، **طبقات فحول الشعراء** ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ، د. ت) جـ٢ ، ص٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٥ ؛ أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني** (بيروت : ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) جـ١٣ ، ص٦٤ وما بعدها .

(٥٢) لمزيد من التوضيح انظر ، العصامي ، **سمط النجوم العوالي** ، جـ٤ ، ص٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٩٢ ، ٥٠٩ ؛ يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، جـ٢ ، ص٨٢٩ ؛ أبو داهش ، **أهل السراة** ، ص٥١ وما بعدها .

(٥٣) المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٥١ ، ٥٢) .

(٥٤) هكذا كان الوضع الاجتماعي السائد عند سكان السراة وجميع سكان شبه الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . أما في عصرنا الحالي فقد تغيرت الأحوال لدى الناس ، وتلاشى الترابط والتعاون الذي كان سائداً بين الناس قديمًا ، والسبب في ذلك يعود إلى وفرة المال في أيدي الناس ، وإلى الرخاء الذي تعيشه البلاد ، ومن ثم أصبح أفراد المجتمعات لا يحتاجون بعضهم كما كانوا في السابق . وللمزيد من التفصيلات عن الفرق بين الماضي والحاضر انظر : سعيد أطلس "الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري" **مجلة المجمع العربي العراقي** (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) مج ٢ ، ص ٢٧٣ - ٣٠٠ ؛ عبدالله الحامد "الحياة

الاجتماعية في الجزيرة العربية خلال قرنين من الزمان (١١٥٠ - ١٣٥٠)" **مجلة العرب** ، جـ ٣ - ٤ (سنة / ١٤) (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٢٠٠ وما بعدها ؛ ابن جريس ، **عسير** (١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ) ، ص ٣٥ وما بعدها ،

M. M Ahsan. **Social life Under the Abbasids 170 - 289 A. H/786-902 A.D.** (London, 1979) pp. 29 ff; Ghithan A. Jrais. **The Social Industrial and Commercial History of the Hgaz Under the Early Abbasids 132-233 A. H\ 749-847 A.D.** (Unpablished Thesis, Victoria University of Manchester, 1989) pp. 28 ff.

(٥٥) المصادر نفسها ؛ بالإضافة إلى محمد علي مغربي ، **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** . (جدة : دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص ٥٤ وما بعدها .

(٥٦) جواد علي ، المفصل ، جـ ٤ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(٥٧) جواد علي ، المفصل ، جـ ٤ ، ص ٧٤ - ١٠١ .

(٥٨) المصادر نفسها الواردة في حاشيتي (٥٦ ، ٥٧) .

(٥٩) وصل الباحث إلى هذه الآراء بعد تجواله في جميع أنحاء بلاد تهامة والسراة ، وشاهد غناء تراثهم الفكري والحضاري الذي ما زال بحاجة إلى دراسة علمية جادة معتمدة على جميع المصادر المتنوعة والمختلفة في مادتها العلمية وفي طرق الحصول عليها .

(٦٠) المصدر نفسه .

(٦١) سوف نورد في الصفحات الآتية بعض التفصيلات عن النواحي المعمارية التي عرفتها بلاد السراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، العشرين الميلادي ، والتي ما زال بعضها ماثلاً للعيان مهجورًا من الاستخدام .

(٦٢) الهمداني ، **صفة** ، ص ٢٤٨ وما بعدها ؛ ابن جريس "**بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب**" ص ٧٦ - ١٠٤ .

(٦٣) لمزيد من التفصيلات انظر المصادر الآتية : أبو بكر أحمد بن محمد الفقيه ، **كتاب البلدان** ، تحقيق أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) ص ٣١ - ٣٢ ؛ أبو علي أحمد بن عمر بن يستة ، **المجلد السابع من كتاب الأعلام النفيسة** ، **وملحق به كتاب البلدان** ، لأحمد بن أبي يعقوب ، (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص ١٨٤ ، ٣١٧ - ٣١٩؛ ابن خرداذبة ، **المسالك** ، ص ١٣٣ - ١٣٥ ؛ قدامة ، **الخراج** ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ؛ البكري ، **معجم ما استعجم** جـ ١ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن جريس « **بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون** .." ص ٧٣ وما بعدها .

(٦٤) الهمداني ، **صفة** ، ٢٥٧ ، والمسقي إحدى القرى الواقعة في شعف شهران بمنطقة عسير اليوم ، وما زال يوجد فيها العديد من النقوش والرسوم والآثار التي تحتاج إلى دراسة علمية جادة ، حتى يتضح لنا تاريخ هذه البلدة وحضارتها عبر العصور الإسلامية المختلفة .

(٦٥) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٦١ .

(٦٦) المصدر نفسه .

(٦٧) المصدر نفسه .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص٢٥٥ وما بعدها .

(٦٩) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ ١ ، ص ٣٧ - ٣٨ ؛ ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص١٤٢ .

(٧٠) مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد السراة أثناء تجواله في مناطقها خلال العام الهجري ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م .

(٧١) المصدر نفسه .

(٧٢) المصدر نفسه .

(٧٣) المصدر نفسه .

(٧٤) عبدالملك بن هشام ، **السيرة النبوية** ، حققه وشرحه مصطفى السقا وآخرون (بيروت : دار القلم ، د . ت) جـ٤ ، ص١٢٥ ؛ محمد عمر الواقدي ، **كتاب المغازي** ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) جـ٣ ، ص٩٢٤ .

(٧٥) ابن هشام ، **السيرة** ، جـ٤ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ ؛ اليعقوبي ، **البلدان** ، ص٣١٤ وما بعدها ؛ ابن جريس "**تاريخ مخلاف جرش** .." ص٦٣ وما بعدها .

(٧٦) لمزيد من التفصيلات عن هذه الحصون القديمة في بلاد السراة انظر : غيثان بن علي بن جريس "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)" **مجلة المنهل** ، العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام

(٦٦) شوال - ذو القعدة (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ص ٢٦ - ٤٩ .

(٧٧) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ ١ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٧٨) مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد السراة خلال الأعوام ١٤١٢ - ١٤١٧هـ ، وانظر أيضًا : ابن جريس ، **عسير** ١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٣ - ٥٥ .

(٧٩) المصادر نفسها .

(٨٠) المصادر نفسها ، بالإضافة إلى جمع الباحث لعدد كبير من الصور الفوتوغرافية لبعض هذه الحصون ، أيضًا قابل العديد من كبار السن في بلاد السراة خلال الأعوام ١٤١٥- ١٤١٧هـ وسمع منهم بعض التفصيلات عن أهمية هذه الحصون خلال القرون الماضية .

(٨١) من يتجول في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف يشاهد كثيرًا من القصور القديمة ، الخاصة بشيوخ القبائل وأعيانها ، ويلحظ أن أغلبها أصبح مهجورًا . مشاهدات الباحث خلال الأعوام (١٤١٢-١٤١٧هـ) ، وللمزيد من التفصيلات عن الحصون والقصور القديمة في بلاد السراة ، انظر : ابن جريس ، **عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ** ، ص٥٣ وما بعدها ، عبدالمنعم عبدالعزيز رسلان "بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني" (**مكة : مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى** . س (٥) عدد (٥) ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص٣٧٩ - ٤٢٨ .

(٨٢) لمزيد من التفصيلات انظر : محمد بن سعد . **كتاب الطبقات** (ليدن . مطبعة بريل ، ١٣٢٢هـ) جـ٥ ، ص١٨٩ ، **كتاب الإمامة والسياسة** ، المنسوب لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) جـ١ ، ص١٨٢ ، أحمد اليعقوبي **مشاكل الناس لزمانهم** (بيروت . دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م) ص١٢ ، ١٤ ، ابن المجاور ، **المستبصر**، جـ١ ، ص١٧٢ وما بعدها .

(٨٢) لمزيد من التفصيلات انظر ، محمد بن سعد، **كتاب الطبقات** (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٢٢هـ) جـ ٥ ، ص ١٨٩؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، **كتاب الإمامة والسياسة** ، المنسوب (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م) جـ ١ ، ص ١٨٢ ؛ أحمد اليعقوبي ، **مشاكل الناس لزمانهم** (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م) ص ١٢ ، ١٤ ؛ ابن المجاور ، **المستبصر** ، جـ ١ ، ص ١٧٢ وما بعدها .

(٨٣) محمد بن عبدالله الأزرقي ، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** (مكة المكرمة . مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) جـ ٢ ، ص٢٠٠ .

(٨٤) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ، ٢٦٠ .

(٨٥) أبو حنيفة الدينوري من علماء القرن الثالث الهجري ، دوّن كتابًا كبيرًا جداً عن النبات ، ومعظم المعلومات المدونة في هذا الكتاب تخص شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد تهامة والسراة ، حيث ذكر جميع النباتات والأشجار الموجودة بهذه البلاد ، ووضح أسماءها وفوائدها وأماكن وجودها ، وقد نشر من هذا المؤلف حوالي ثلاثة أجزاء والباقي منه مازال مفقودًا فلم يُعثر عليه حتى الآن .

(٨٦) انظر الأزرقي ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص٢٤٩ ، ٢٦٠ ؛ قدامة ، **الخراج** ص١٨٨ ؛ الواقدي ، المغازي ، جـ٣ ، ص٩٢٤ .

(٨٧) المصادر نفسها ؛ بالإضافة إلى ابن فهد ، **غاية المرام** ، جـ٢ ، ص٢٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥١٥ ؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ٤ ، ص٢٧٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٨٨) وتعد نمران والروشن من المراكز الرئيسة في منطقة بيشة ، وفيها أسواق أسبوعية نشطة ذكرتها المصادر والوثائق الخاصة بالقرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) .

(٨٩) انظر « رحلة تاميزية إلى الجزيرة العربية » ترجمة يوسف شلحد ، **مجلة العرب** ، جـ ٩ - ١٠ (س / ٢٤ / الربيعان / ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ص ٦٦٢ .

(90) Sir Kinahan Cornwallis, **Asir Befor world War**. I. (New York, 1976 pp. 32 ff.

(٩١) المصدر نفسه ، P. 45 .

(٩٢) المصدر نفسه ، PP. 49, 60, 61, 75 .

(٩٣) سليمان شفيق باشا كان يتولى متصرفية عسير في الفترة من ١٣٢٦ - ١٣٣١هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٢م ، ثم انتقل بعد ذلك للعمل بسوريا ، ثم أصبح واليًا على البصرة ، وأخيرًا تسلم وزارة الحربية في تركيا . انظر : **مذكرات سليمان شفيق باشا** ، جمع محمد أحمد العقيلي (أبها : النادي الأدبي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص ٧ وما بعدها .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص٩٢ ، ٩٦ .

(٩٥) لمزيد من التفصيلات عن فن العمارة في بعض الأمصار الإسلامية انظر ، حسن إبراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م) جـ ٣ ، ص ٤٥٥ - ٤٦٩ .

(٩٦) المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٩٤ ، ٩٥) بالإضافة إلى يوسف حسن العارف . **أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا** (أبها : النادي الأدبي، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) ص٦٠-٦١ .

(٩٧) المصادر نفسها .

(٩٨) شرف بن عبد المحسن البركاتي ، **الرحلة اليمانية** ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٤هـ) ص١٣٢ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص٧٨ .

(١٠٠) وهو يحيى بن إبراهيم الألمعي الذي دوَّن عدة مواضيع عن منطقة عسير ، وجمعها في كتاب أطلق عليه اسم : **رحلات في عسير ، نصوص ، انطباعات ، وصف ، مشاهدات** (معلومات النشر غير مدونة) .

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، كذلك انظر : ابن جريس ، **بلاد بني شهر وبني عمرو في القرنين ١٣ / ١٤ هـ** ، ص ٧٥ - ٧٧ .

(١٠٢) ومن يتجول الآن في بلاد السراة يرى مئات القرى القديمة المهجورة والمندثرة ، وقد يلحظ على قرب منها قرى وبيوتًا جديدة تم بناؤها بالخرسانة المسلحة . وحبذا لو وجدت بعض تلك القرى القديمة الرعاية والصيانة والترميم الأثري السليم حتى تبقى متماسكة سالمة من الاندثار لكونها تعكس تاريخ أقوام عاشوا في العهود الماضية وحضارتهم ، وكان لهم تراثهم الحضاري الخاص بهم الذي يشكل لبنة مهمة في تاريخ الحضارة الإسلامية لشبه الجزيرة العربية .

(١٠٣) مشاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تنقلاته ورحلاته في بلاد السراة خلال السنوات الماضية ، وخاصة في الأعوام ١٤١٢- ١٤٢٠هـ .

(١٠٤) انظر عمر العمروي ، **قبائل إقليم عسير** ، جـ ١ ص ٢٧٥ وما بعدها ؛ النعمي ، **عسير في مذكرات سليمان الكمالي** ، ص ٤٨ وما بعدها ؛ أبو داهش ، **أهل السراة** ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(١٠٥) المصادر نفسها .

(١٠٦) مشاهدات الباحث خلال الأعوام الماضية المتأخرة ١٤١٥-١٤٢٠هـ .

(١٠٧) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ المساجد الإسلامية في بعض الأمصار الإسلامية خلال القرون الإسلامية المختلفة ، انظر : أبو صالح الألفي ، **الفن الإسلامي** (القاهرة : دار المعارف ، د. ت) ص١٨٨ وما بعدها ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، **بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته** (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م) ص٢٠١ وما بعدها ، محمد بن عثمان الحشائشي ، **تاريخ جامع الزيتونة** (تونس : د. ت ، ١٩٧٤م) ص١٢ وما بعدها .

(١٠٨) مشاهدات ورحلات الباحث خلال الأعوام ١٤١٥-١٤٢٠هـ.

(١٠٩) المصدر نفسه .

(١١٠) المصدر نفسه .

(١١١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص١٤٢ ؛ جواد علي ، **المفصل** ، جـ ٥ ، ص٦-٨ ؛ مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام ١٤١٥-١٤٢٠هـ .

(١١٢) وما زلنا نشاهد معظم مزارع بلاد السراة محاطة بهذه المدرجات التي عرفها سكان جنوب شبه الجزيرة العربية منذ عهود سابقة للإسلام ، وللمزيد من التفصيلات انظر : صالح بن علي بن عبدالرحمن الشمراني ، **أشكال المدرجات الزراعية وتوزيعها السكاني ، وأهميتها في إقليم عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية** (مكة المكرمة : مركز بحوث العلوم الاجتماعية ، بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص١٧ وما بعدها .

(١١٣) المصدر نفسه .

(١١٤) أحمية ومفردها (حمى) وهي المواقع التي يحميها بعض الأسر ، أو الأفخاذ ، أو العشائر من أجل استخدامها للرعي وقت الجدب وعدم نزول الغيث . وفي المصادر الإسلامية الأولى نجد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين حموا بعض المواقع القريبة من المدينة المنورة لكي ترعى فيها خيول ومواشي المسلمين ، وإلى وقت قريب كان العديد من العشائر والبطون السروية تقوم على حماية بعض مواطنها ، أما في الوقت الحاضر فصارت هذه الظاهرة شبه معدومة ، وللمزيد عن طبيعة الحمى في الإسلام : ابن الفقيه ، **البلدان** ، ص٣٠ ؛ البكري **معجم ما استعجم** ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠ ؛ صالح أحمد العلي " الحمى في القرن الأول الهجري " **مجلة العرب** ، جـ ٧ (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(١١٥) لدى الباحث العديد من الوثائق التي تنص على أسماء وأحجام حدود وأسوار بين بعض الأسر والعشائر والأفخاد في بلاد السراة ، ومثل هذه الوثائق كثيرة بين يدي رجال أهل السراة وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ، وذلك لحفظ حقوقهم وأملاكهم بمثل هذه المستندات والوثائق .

(١١٦) مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام ١٤١٥-١٤٢٠هـ .

(١١٧) المصدر نفسه .

(١١٨) يقع وادي عياء في الجهة الشرقية من بلاد بللحمر وبللسمر بسروات الحجر ، ويعد من روافد وادي بيشة ، يحده من الشرق وادي بن هشبل وقبائل شهران ، ومن الغرب خارف ببلاد بللسمر ، ومن الشمال بلاد بني أثلة من سراة بني شهر ، ومن الجنوب الماوين وصبح ببلاد بللحمر . ويوجد بهذا الوادي حصون عديدة يرتفع بعضها إلى خمسة طوابق أو ستة ، كما يوجد به العديد من الآبار والأبنية الأثرية التي تحتاج لدراسات علمية أثرية متخصصة. للمزيد من التفصيلات عن هذا الوادي ، انظر . رشاد عبدالله الشهري ، **آثار وادي عياء** ، بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بقسم التاريخ ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود فرع أبها (١٤١٣هـ) ص٦ وما بعدها ؛ علي آل عمر عسيري " في وادي عياء آثار شاهدة لأجيال بائدة " **مجلة الجنوب** ع (٤٧) س (٤) (ذو القعدة /١٤٠٧هـ) ص٢٩ وما بعدها ؛ مشاهدات الباحث لمعالم وادي عياء وآثاره في فصل الصيف عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(١١٩) مشاهدات الباحث وانطباعاته عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ؛ أيضًا انظر : ابن جريس ، **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣ - ١٤ هـ** ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(١٢٠) مشاهدات الباحث وانطباعاته عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

(١٢١) إن شبه الجزيرة العربية سادها الإهمال والنسيان خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وخصوصًا بعد أن استقرت الخلافة الإسلامية في كل من العراق ومصر ، ومن ثم نتج كثير من الخرافات والفوضى القبلية التي أثرت فعلاً في سلامة العقيدة عند أهل البلاد وأصبحوا يجهلون كثيرًا من أمور دينهم .

(١٢٢) الهمداني ، **صفة** ، ص٣٤٠ ، ٣٥٦ ؛ ابن جريس ، **عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ** ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٢٣) المصادر نفسها .

(١٢٤) المصادر نفسها .

(١٢٥) الأزرقي ، جـ١ ، ص١٢٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ؛ الهمداني ، **صفة** ، ٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ١ ، ٢٥ ، ٨٧ ، ١٨٥ .

(١٢٦) وهذه الأطعمة كانت تُصنع بشكل واسع إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي ، ثم بدأت تقل تدريجيّاً ، لكنها ما زالت تُصنع عند بعض الأسر في الريف والمدينة على حد سواء .

(١٢٧) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٦١ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة ، جـ١ ، ص١٨٥ ؛ ابن جريس "**بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب** .." ص٩٧-٩٩ ، ومن يتجول اليوم في بلاد السراة يلحظ عشرات الأنواع من الفواكه والخضروات التي تنبت محليّاً ، والتي لا تسد حاجة أهلها فقط ، وإنما امتلأت الأسواق اليومية والأسبوعية بهذه المنتوجات الزراعية .

(١٢٨) محمد بن أحمد بن جبير ، **رحلة بن جبير** (بيروت : دار الكتب ، د . ت) ص١٠٢ وما بعدها ؛ محمد بن عبدالله اللواتي (ابن بطوطة) ، **رحلة ابن بطوطة : المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، تحقيق علي المنتصر الكناني (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١ ، ص١٨٣ ؛ أبو العباس أحمد القلقشندي . **قلائد الجمان في التعريف بقبائل وعرب الزمان** ، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣م) ص١٠٤ ؛ حمد الجاسر ، **في سراة غامد وزهران** ، **نصوص ، مشاهدات ، انطباعات** (الرياض : منشورات دار اليمامة للطباعة والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص٣٦٩ .

(١٢٩) المصادر نفسها .

(١٣٠) الجاسر ، **في سراة غامد وزهران** ، ص ٣٦٩ .

(١٣١) المصدر نفسه ، بالإضافة إلى : أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، **كتاب النبات** (الجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس) . تحقيق برنهاردلفين (ألمانيا : بفيسبادن ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص٤ وما بعدها .

(١٣٢) المصادر نفسها .

(١٣٣) المصادر نفسها .

(١٣٤) الدينوري ، **النبات** ، ص٢٥٧ وما بعدها .

(١٣٥) وقد أفرد الدينوري فصلاً كاملاً عن العسل وأنواعه وأماكن وجوده ، وذكر أن بلاد السراة تأتي في مقدمة مواطن شبه الجزيرة المشهورة بالعسل الجيد في نوعه ومذاقه ، انظر كتابه : **النبات** ، ص ٢٥٧ - ٢٩٤ .

(١٣٦) المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

(١٣٧) المصدر نفسه .

(١٣٨) المصدر نفسه .

(١٣٩) الهمداني ، **صفة** ، ص٢٦٢ .

(١٤٠) الجاسر ، **في سراة غامد وزهران** ، ص٣٧١ وما بعدها .

(١٤١) عرام بن الأصبغ السلمي . **كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه** ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ، ص٤١٣ ، ٤١٧ .

(١٤٢) المصادر نفسها التي وردت في الحواشي (١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١) .

(١٤٣) المصادر نفسها .

(١٤٤) المصادر نفسها ، وللمزيد من التفصيلات عن نباتات بلاد السراة انظر "أهمية النباتات في الغذاء والدواء ببلاد السراة من خلال بعض كتب التراث الإسلامي" **بحث منشور في كتاب صفحات تاريخ عسير ، جـ ١** ، ص ٣١ - ٤٤ » .